





ثروت أباظة

# أَمْوَالُكَ وَلَا تَشَاظِي

الناشر : مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي "النهضة"  
سميد جوده السحار وشركاه





## حجة وقف

انه بموجب هذا قد أوقف سعادتلو أفندم حضرة صاحب السعادة عزت باشا ابراهيم جميع أملاكه على أولاده ، بحيث يصبح ناظر الوقف بعده عزتلو أفندم حضرة صاحب العزة جمال بك ابراهيم بصفته الابن الأكبر وتصبح له الحقوق العشرة ، وينتقل الحق في نظارة الوقف الى أبنائه الأرشد فالأرشد ، فإذا لا قدر الله لم ينجب بنين تنتقل نظارة الوقف الى الأرشد من أبناء اخوته الأرشد فالأرشد .

وإذا امتنع المستحق في النظارة عن النظارة لسبب أو لآخر ، تنتقل الى المستحق بالطريق سالف الذكر . ويشترط فيمن يكون ناظر الوقف أن يكون كامل الأهلية طيب السمعة حسن السير والسلوك . وقد وقع سعادتلو أفندم حضرة صاحب السعادة عزت باشا ابراهيم هذه الوقفية وهو في كامل قواه العقلية وفي كامل صحته ، أسبغ الله عليه أثواب العافية ومتعته بالصحة والعافية ومد الله في عمره . . آمين .

الواقف

عزت ابراهيم

القصر جبل من ضياء ، والعربات تقف اليه ليخرج منها  
الماس الخاطف والملابس الثرية ، ما ان تمضي عربة بخيولها  
حتى تأتي بعدها أخرى ، والحفل نشوة ، والأنفاس عطر .  
والأجساد نور ، والضحك موسيقى ، والدنيا غناء .

نامق بك ابراهيم يترجل من العربة رفيع السمات واثق  
الحركة ، لا يفكر في الديون التي يرزح تحتها ما دام واثقا  
أن عمه ناظر الوقف سيعطيه آخر العام ما يقيم مثل هذه  
الحفلات حتى يصبح من الطبيعي أن يدعى الى هذه الحفلات .  
انه لا يفكر . . . فما دامت قدماء قد أصبحتا داخل الحفل فلا  
تفكير اذن الا في الحفل .

النظرات تستقبله وما تلبث الأيدي أن تعجل اليه ، فكل  
من في الحفل يجب أن يكون على أحسن صلة به : وهو يجيب  
التحية في كبرياء غير متكلف ، فقد تعلم الكبرياء منذ تعام  
كبف يسير وكيف يأكل وكيف يعامل الناس . . . نوع من  
الكبرياء لا يغضب وانما يثير الاكبار ، ولا يجرح وانما يجعل



الناس يحبون أن يكونوا على معرفة به .

وحين يفرغ نامق بك من التحايا ينفض الحفل جميعه بعينه العميقتين وقد ازداد التماعهما تألقا .

انه ييحت . . . وما هي الا ومضة وأخرى حتى تعرف قدماه الى أين يجب أن يتجه .

نازك . . . تمد اليه اليد وترنو اليه بهذه النظرة الواعدة والتي ينتظر منها دائما أن تفي بالوعد . . . لا يغيب عن حفل هي ذاهبة اليه . . منذ شهور يلاحقها في الحفلات وهي تحب منه هذه الملاحقة وترضى عنها ، وتعد بعينيها وعودا كثيرة تعرف أنها تصل الى حيث تريد لها أن تصل . فما لاحقها الا حين أحس أنها تدعوه بهذه النظرات الى هذه الملاحقة .

وتدور الكؤوس وتتشتى الآمال ويفكر كل ذي وعد في تحقيق موعده ، ونامق يرنو ويتلطف . . . وهي ترنو وتعد ، ويدور الحديث ويلوب ولا يصل الى شيء ، ولكنه بنظراته اللامحة وعينه ذواتى البريق ينفض الحفل . .

— سعادة البك الوالد ؟ —

— لم يأت الليلة .

— والوالدة ؟

وتطلق ضحكة خائفة :

— وهى أيضا لم تأت •

— اذن ؟

— جئت معى بصديقتى كريمة •

ويصمت قليلا ثم بقول بفرنسية متقنة :

— ولكن ليس من المحتم أن ترجعى مع كريمة -

وتكسر عينها الواعدة وتجيب فى فرنسية خالصة :

— سنرى •

— ألم ترى بعد ؟

— قلت سنرى •

— مرت شهر ••

— قلت سنرى •

لقد أصبح الوعد أخيرا ابن كلمة بعد أن ظل شهورا طويلة  
ابن نظرة • تتصايح الرغبات فى جوانحه وتعربد الآمال فى  
كل قطرة من دمائه • وتتصرف نازك الى صديقاتها تجاذبهن  
كأنها لم تفسح لهذه الرغبات أن تتصايح ولا لهذه الآمال أن  
تعربد •

ولا يجد هو فى نفسه ميلا الى حديث وانما يظل  
ملصقا نظراته بوجهها ••• طويل هذا الوجه قوى عذب يتحدى  
ويأمر ويريد ويفعل ، عينان ما هما بالواسعتين ولكن السعة  
فيهما أصبحت عمقا ، ان تمكن انسان أن يطيل فيهما النظر  
تكشف له من وارئهما عوالم تقضى الى عوامل تقضى الى



لا نهاية .. لا نهاية للعمق فيهما • تحيط بهما رموس لا تنتنى  
الى أعلى وانما هى رموش مشهرة تتكلم فتقول ما تريد •  
وفم دقيق الشفاه ينفرج عن أسنان عليها وشاح من ضباب  
فضى خفيف • والفم جميعه يبدو كأنه على صلة ونبقة بالعقل  
... حتى اذا ابتسم جمع العقل والقلب فى ابتسامته • وفى  
الذقن ذكاء و ارادة ورغبة وتفكير وتأمل وتنفيذ • وحين  
تقف نازك يظل نامق ملصقا نظراته بقوامها الفارع النحيف  
كأنه كلمة حازمة • • كيان رائع نازك • • هى حرية فى حركاتها ،  
فى حديثها ، فى لفطة الجيد منها ، فى ايماءة الرأس ، فى الشعر  
العرييد على كتفها ينساب كأنه أحلام عذرية حتى ليخال  
المرء أنه بلا نهاية • • فنهايته بداية ، بحر من أشعة الشمس  
حين تميل الى المغرب ، بحر متلاطم بلا شطآن ، بلا أول  
ولا آخر •

وتألفت اليه فجأة وكأنها لم تكن تحس بنظرته التى  
التصقت بها منذ بذلت له وعدّها الأخير :

— ألا نذهب للعشاء ؟

وينتفض واقفا عن قامه تنحو الى القصر بعض الشيء ،  
وينحنى فى كبرياء ويقول :

— بكل تأكيد •

وفى الطريق الى المائدة بهمس :

- ننصرف بعد العشاء مباشرة •
- بل ننتظر حتى يهدأ الرقص •
- أترقصين ؟
- أتريد أن ترقص ؟
- ليس هنا •



- ٣ -

لقد أردت .. لماذا .. لا أدري .. هكذا أردت ..  
أن أعطى نفسى .. هذا الكنز الذى تتهدم الدنيا اذا أعطيته  
بلا زواج أعطيته أنا بلا زواج ؛ ولتتهدم الدنيا بعد ذلك ،  
وليفعل أبى هذا التركى ما شاء له هواه .. لماذا يبيع لنفسه  
هو أن يحب ويختار ويتزوج أمى الفرنسية ، ولا يكون ذلك  
لى أنا ؟ .. هل أحببت ؟ .. لقد أردت .. ولكن هل أحببت ؟  
.. ما يهم .. نامق فتى تتسابق اليه نساء مصر جميعا ..  
مالى ولمصر .. أبى تركى وأمى فرنسية .. اذا تهدمت الدنيا  
هنا أستطيع دائما أن أذهب الى أهل أمى فى فرنسا ...  
باريس مدينة النور .. هل فيما فعلت نور ؟ .. لقد أردت ..  
وفعلت .. نامق .. لا يملك شيئا الا نصيبه من الوقف ؛  
ولو شاء عمه لأصبح لا يملك شيئا .. ولكن هل أفكر فى  
الزواج به ؟ وهل هذا هو الطريق الى الزواج ان كنت أريده ؟ ..  
انما أردت أن أعطى نفسى وبلا سبب ... بلا حب ، بلا تفكير  
فى زواج ..

أما لماذا اختارت نامق فهذا حديث آخر .. لبس نامق  
صغبرا انما هو يحث الخطى الى الأربعين ، وقد كان زوجا

من قبل وله ابنته نديرة من زوجته الهام الابنة الكبرى لفهمى  
باشا محسن المستحق فى الوقف ، وقد انتقل بوفاته الاستحقاق  
فى ابوقف الى ابنته الهام . ولكن هذه القرابة وهذا الزواج لم  
يمنع نامق أن يوطد علاقته بالسيدة جيهان عثمان زوجة نصر  
الدين بك فتحي . . . . . وكانت هذه العلاقة بين نامق وجيهان  
تسمح له أن يكون معها فى غرفة نوم واحدة . بل وفى سرير  
واحد . . . . . وقد كانت هذه الحجرة وهذا السرير فى أغلب الأحيان  
بمنزل سعادة نصر الدين بك فتحي .

وفى يوم سافر فيه نصر الدين بك وملت القاهرة بنامق  
وجيهان ، وضمهما منزل نصر الدين أول الليل ثم ضمتهما غرفة  
النوم والسرير آخر الليل . . . . . وعاد نصر الدين الى البيت  
دون أن يسافر ووجد مكانه فى السرير مشغولا ، وكان نصر  
الدين بك من الذين يحملون المسدس فى جيوبهم فهو يخرج  
مسدسه فى سرعة وبطلق النار على ذلك الرجل الذى شغل  
مكانه ، وتصيب الرصاصة كتف نامق ويزيط البيت ويستدعى  
الأطباء ، ونقل نامق بك الى منزله حتى لا يذهب الى المستشفى ،  
وتتواكب الأسئلة لتكشف من الأمر ما ينبغى له أن يستتر .  
وهكذا دبر الأمر ببراعة ليصبح ذائعا شائعا فى كل مكان . . .  
فقد لعب التكتم دوره فى إذاعة الخبر ، أصبح نامق بين  
لياة وصباحها رغبة نساء المجتمع جميعا .

ومنذ أن شفى نامق وهو لا يكاد يجد فرصة لاختار ،



فقد أصبحت السيدات هن اللواتي يخترن أنفسهن ، فليس  
من الغريب اذن أن تجد نازك نفسها راغبة فى هذه الصلة ،  
ولا بأس عليها أنها ليست سيّدة ، وما الذى يمنع أن ينقلها  
هو من آنسة الى سيّدة ؟ .. لقد نسبت ودوى نامق يهوم فى كل  
أفق تتجه اليه .. وألقت اليه هذه النظرات الواعدة ، وما  
زالت به حتى كان هذا اللقاء فى بيته ولا يدري به أحد  
الا صديقتها كريمة .. ان كريمة تعرف عنها كل شيء ..

— أهلا كريمة ..

— هيه .. ما الأخبار ؟

— أبدا .. لا يوجد ..

— تذهبين اليه الليلة ؟

— لا أدري ..

— لا يا حبيبتى ، قولى لى حتى أعد نفسى ..

— هل عندك شيء الليلة ؟

— الواحدة يجب أن تهتم بمستقبلها ..

— عندك الليلة مستقبل ؟

— طبعا ..

— مثلى أنا ونامق ؟

— ليس تماما ..

— لا أفهم ..

— أنت وصلت لآخر الشوط ..

- وأنت ؟
- أنتظر الزواج •
- وهل يهم الزواج الى هذا الحد ؟
- يا حبيبتي أنت لا يهمك • أنا أنا فان لم أتزوج فلا حياة لى •
- ومستقبلك وكيل النيابة ؟
- شارب طيب •
- تلتقيان بالشباك كما هي العادة ؟
- يمر من تحت الشباك قبل المغرب وقد كوى طربوشه ولمع حذائه • • ينظر فى حياء الى أعلى ، ان رآنى وقف • • •
- ان ابتسمت حيا ، ان كشرت انصرف •
- يا عينى !
- ان قابله رفض أن يتزوجنى •
- فأنت اذن تنصبين الشباك •
- ولا بد أن تصيب •
- هل سبأتى الليلة ؟
- لقد بدأ يتكلم فى الخطوبة •
- فموعدك هام •
- اذا كنت لا تريدين أن أبقي •
- المفروض ألا تكونى فى البيت حين يجىء •
- لماذا ؟



يا حبيبتي أنت لا يهمك ، أما أنا فان لم أتزوج فلا حياة لي .

- لتتظاهري أنك لا تعرفين •
- أمس قال انه يريد أن يخطبني •
- هل احمر وجهه وهو يقول لك هذا ؟
- انه أحمر ، وطربوشه أحمر ، ويضع وردة حمراء في جاكته • خجول بطبيعة لونه ... مهما يخجل لا يستطيع أن يزيد لونه احمرارا •
- المفروض أنك لم تريه رسميا •
- كيف ؟
- الشباك غير رسمى كما تعلمين •
- ألم أقل لك انه صديق أخى ، وكان يجىء معه الى البيت وملتقى ؟
- آه صحيح ... فما حكاية الشباك ؟
- تعجبه •
- قرأ عن سيرانو دى برجراك ؟
- ولكنه ليس قبيحا •
- هل عندك فستان يليق بالمناسبة ؟
- أنت تعرفين كل فساتينى •
- وأنت تعرفين كل فساتينى •
- لا مقارنة •
- انتقى ما تشائين •
- حقا ؟ !



- أنت لن تخطبى مرتين •
- فأنت لا تربديننى الليلة ؟
- أرجعى الى حين تنتهى الخطوبة ••



- هيه هل نقول مبروك !
- طبعا ••• أنت تعرفين كريمة •
- ماذا حصل •• احكى لى •
- قرأ أبى الفاتحة •
- ومتى الزواج ؟
- حالا •
- مستعجل ؟
- سيجن •
- يبدو أنه ليس وحده الذى سيجن ••
- على فكرة هل عرفت أن محمد باشا الأزميراي مريض ؟
- عم نامق ؟
- نعم •• ناظر الوقف •
- بالنسبة لنامق الأمر لا يهم •• سيصبح حسن بك ناظرا.
- على الوقف مكان أبيه : ويظل يأخذ نصيبه منه •
- لا أظن •
- كيف ؟

— هناك اشاعة تقول ان حسن لا يريد أن يكون ناظر  
الوقف •

— حقا ... لماذا ؟

— انه يحب السفر ، والوقف سيمنعه من هوايته •

— فمن يكون ناظر الوقف ؟

— نامق بك طبعا •

— ماذا ؟

ألقتها نازك ... ثم ألقت عينيها العميقتين الى فراغ ...  
لحظة .. ثم لحظة ثم نظرت الى كريمة •  
— ماذا قلت :

— طبعا ... هذه شروط الوقفية ... يتولاها الابن الأكبر  
من أولاد الأخ التالي ... يعنى نامق •  
— من قال لك هذا ؟

— فتوح وكيل نبابة ... يحفظ هذه الأمور غيبا •  
— أذن ؟ ..

— نامق سيكون ناظر الوقف •

— هل يستطيع فتوح أن يحضر لى صورة من الوقفية ؟

— ممكن ... فقط ماذا أقول له ؟

— اسمعى ... لا داعى لأن يحضر الوقفية جميعها ،

فقط اسأليه وأنتما تتحدثان ، ما هي الشروط التي يجب أن تتوافر في ناظر الوقف ؟ •



— يقول انه يجب أن يكون بالغاً رسيديدا عاقلاً حسن السير والسلوك طيب السمعة •  
— ماذا ؟

— طيب السمعة •  
— ألا يجوز أن تذكر حكاية جيهان ؟  
— حكاية جيهان نسيت ...  
— من قال لك هذا ؟

— أنا سألت ••  
— لماذا نسيت ؟

— لأنه ان لم يعين نامق فالمرشح لنظارة الوقف سليمان أخوه ، وهو كما تعلمين سفيه ومجنون ، والمنتفعون بالوقف لن يقبلوه •

— فحكاية جيهان اذن نسيت ؟  
— يجب أن تتسى •  
— ماذا يحدث لو ظهرت حكاية أخرى مثل حكاية جيهان ؟  
— ماذا ؟ •• ماذا قلت ؟

— لا شيء •• لا شيء •• أخرجين معي ؟  
— الليلة ؟

- الليلة •
- لن تجدى نامق الليلة •• انه مشغول مع عمه •
- لا يهم •• سيعود •
- سيتأخر •
- وما البأس أن أتأخر عندك وأنت مقدمة على زواج ؟
- تذهبين عندي اذن وتبقيين فترة ، ثم نذهب الى نامق •
- لا ينقصك الذكاء •
- تلميذتك •



مرت شهور عليها منذ أسلمت نفسها له ... لقد أسلمتها له لأنها نائرة على أبيها وعلى التقاليد ، ولأنها تريد أن تهدم هذا الحائط الذى يفرضه أبوها عايتها ... كانت هى نفسها تسخر من أبيها ومن هذه القيود الذى يظن أنه يستطيع أن يفرض بها العفاف عليها .. انها تستطيع حين تشاء أن تصنع ما تشاء ... وكانت تقع فى نقاش مع نفسها لا يبلغ مستوى الصراع ، وانما كانت تعتقد أنها فى اللحظة الأخيرة ستمتنع وتخشى الفضيحة ، ولكنها ما تلبث أن ترى الفضيحة نفسها شيئاً غير مزعج ، فقد شهدت اللواتى أثرن الفضيحة لا ينتقم منهن المجتمع وانما يصبحن همسة بين الأفواه ثم لا نىء بعد ذلك ... فهن حيث يدخلن موضع احترام الناس ، وهن يتمتعن بجو أثيرى خاص يجعل منهن مادة نادرة لا تماثلها فيها الأخريات اللواتى لم تثر حولهن الهمسات ... وهى لا يضيرها أن تكون هذه الهمسة ، بل انها يسرها أن تكونها ... وهى تستمتع ... تستمتع باللقاء الخفى وبالأسرار لا تعرفها الا كريمة ... وهذه الخفقة المجنحة التى ترفرف فى كيانها

كله حين تستعيد ما كان .. وتستمتع بنفسها حين تعود من بيته لتكون مرة أخرى هذه الفتاة البريئة التى تخضع لما يفرضه عليها أبوها من رقابة ... وتستمتع بهذا الوجيب وهى تنتظر اللقاء ، وتستمتع بما تعده لهذا اللقاء .. تعد ما ستقوله ثم تنساه ، وتستمتع بما تعد وتستمتع بما تنسى ، ولا تفكر فى الغد الا اذا كان الغد يحمل اللقاء ... انها فى هذه الشهور تعيش حبا .. أو هى توهم نفسها أنها تعيش حبا .. لا يهم .. وما الفرق بين الحقيقة والوهم ما دام كلاهما يصل بها الى هذه النشوة التى تجتاحها ؟ .. ولكن المؤكد أنها تعيش بنفسها كما تريد لنفسها أن تكون .. تلك هى الحياة التى تحب أن تحياها وهى تحياها .. أسطورة هى من أساطير الليل واللقاء المستخفى والآهة الحاملة والهمسة النشوى ... كم من النساء مررن بالحياة فما خلدن كما خلدت .. أولئك اللواتى أحبهن الملوك .. انها تريد أن تكون واحدة من أولئك ... لا تحب أن تمر بها الحياة فلا تلقى إليها نظرة تعرف ولا ومضة ذكرى ، انها تريد أن تدمغ الحياة حولها باسمها ، فلا بد أن تذكرها الحياة ... أهذا هو الطريق ؟ .. انها لا تعرف طريقا غيره .. قد يعتبره أولئك الأصنام أصحاب الياقات المنشاة والطرابيش الحفر الصارخة الاحمرار نوعا من النزق ، ولكنهم جميعا مع كل آرائهم يتمنون منها نظرة اعجاب أو نظرة تعرف .. هكذا كانوا يصنعون مع اللواتى آثرن

الهمسات قبلها ••• وحين تثير الهمس لن تتغير معها القاعدة ••  
انها لعبة الألفاظ السخيفة التي يقولونها •• يستجدون بألفاظهم  
رضاء الرأى العام ، وتستجيب مشاعرهم لرغباتهم الخاصة  
التي تمرور فى نفوسهم وتعربد صاخبة بلا قيود من عرف  
أو مجتمع أو رأى . عاما هذا الرأى أو خاصا •

ولكن الأمر الآن يختلف ••• انه سيصبح ناظر الوقف ••  
نهل ترى أستطيع ؟ • هل ترى أستطيع ؟ • وما مصير الهمس ؟!  
•• والسحر الأنيرى ؟ •• وأين يمكن أن يذهب هذا ؟ •• ان  
الهمس حينئذ سيكون أقوى أثرا •• اننى أستطيع أن أثير  
الهمس فى أية لحظة أريد •• فى أى وقت أشاء •• وتحت أى  
ظروف تبدو •• الغنى •• السلطة •• الحب •• والهمسة ••  
أكون فى التاريخ ذكرى •• أكون ملتقى النظر •• همسة  
العجوز الى نفسه ان خلا الى نفسه •• أمل الشباب فى أحلامه  
المجنحة •• هذه الفكرة التي تفرض نفسها دون أن يستدعيها  
الفكر •• هذه الكلمة التي تثب على آمال الرجال دون تفكير ••  
فى اللحظة التي يفكر فيها المرء يأمر تفكيره أن يتجه الى حيث  
يريد ، ثم تأتى لحظة على الفكر يتمرد على صاحبه ، ويفكر  
هو فى غير خصوع أكون هذا التمرد •• لهيب خيالهم ••  
أجنحة آمالهم ••• له ••• واحد من هذا الكون العريض ••  
واحد فقط •• الناس جميعا •• من أعرف ومن لا أعرف ••

آلا يجتمع الواحد فى الجميع •• انما الواحد من الجميع ••  
ومالى لا أجمع الواحد مع الجميع ، وما البأس ، •• فى وضع  
خاص •• فى مكان معين ؟ ولكنه بعد منهم •• معهم ••  
كريمة •• أولاد •• الوقف •

— ستصبح ناظر وقف •

— ولكنك أهم عندى •

— أريد أن أكون جادة بعض الوقت •

— الآن ؟

— طبعا •

— فى أول اللقاء •

— لن يكون هناك لقاء اذا لم نقل ما نريد •

— أهنالك ما يقال ؟

— طبعا •

— قولى •

— ستصبح ناظر الوقف •

— ولكن هذا لن يمنع لقاءنا •

— المسألة ليست مسألة لقاء •

— إذن ؟

— لابد لناظر الوقف من زوجة •

— ماذا ؟

وصمت •• وصمتت •• وطال الصمت •• فى لحظة



خاطفة أدرك كل ما تريد أن تقوله .. وفى لحظة خاطفة أدركت  
أنه فهم ما تريد أن تقوله ، فكان الكلام بينهما عديم الجدوى ..  
ولكن ومضة خاطرت فى ذهنه :

— ولكن ..

— نعم ؟

— لا .. لا شيء ..

— ماذا تريد أن تقول ؟

— فقط لم يكن من المقدر أن أكون ناظر الوقف .

— أتظن أنها خطة مدبرة !

— لا .. أبدا ، وإنما فقط ..

ولم يكمل الجملة ولم تطلب هى إليه أن يكملها ، وعاد إليهما  
الصمت .. كيف دبرت ؟ .. أنا أعلم أنها لا تحببى .. لم  
يجذبها الى الا ما جذب النساء الأخريات منذ حكاية جيهان ..  
هى أصغر .. ولم تكن سيدة حين عرفتها .. ولكنها هى التى  
أرادت .. اننى أعرف أنساء حين يردن .. وأعرفهن حين  
يجببن .. لقد أرادت دون حب .. ان تكن ذكرت الحب فى  
اللقاءات فقد كان لابد له أن يذكر .. اننى أحس المكان الذى  
تصدر عنه كلمة الحب حين تقال .. أحسها .. ومن الصدى  
الذى يأتى مدعا أعرفها .. لم يكن جيا .. لقد أرادت وقد أردت،  
وهذا كل ما هناك . فكيف يمكن أن تصبح زوجة بعد هذا ؟ ..  
زوجة لى أنا .. أنا الرجل ؟ .. ولا شأن للوقف هنا .. أنا

الرجل .. كيف أجعل من هذه المرأة .. أصبحت الآن امرأة ..  
كيف أجعل منها زوجتي .. تحمل اسمي وشرفي أمانة في  
يدها ؟ .. انها لم تحافظ على اسمها ولا شرفها هي ، فكيف  
تحافظ على اسمي وشرفي ؟ .. لا .. لا .. لا قاطعة ..  
ودون أن يحس ارتفع صوته وانتفض :

— لا ..

وصمتت لحظة ثم قالت في هدوء :

— والوقف ؟

وعاد الصمت ...

لم تصبح المشكلة مشكلة نظارة الوقف ، انما أصبحت  
المشكلة مشكلة الوقف جميعا .. لن يصبح ناظر وقف هذا  
لا شك فيه ، ولكن من المحتمل ان لم يكن من المؤكد أن أخاه  
سيخرجه من الوقف جميعا .. أليس ناظر الوقف وله حق  
الادخال والاخراج ؟ وسيجد أخوه الفرصة سانحة أعظم  
ما يكون السنوح .. أخ فاسد بلغ الأربعين من عمره ويقضى  
على شرف بنت لم تعد التاسعة عشرة من عمرها . انه لا يستحق  
أن يكون ضمن المنتفعين بالوقف .. خذل أجداده في قبورهم ،  
وخذل أقرباءه في حياتهم ، وأساء الى سمعة الأسرة جميعا ..  
الأسباب قوية .. الضياع بعد ذلك والفقر الموحش . ولكن  
زواجها .. ؟ زواجها هو الشرف المضاع .. سيصبح اسمي

أضحكة في فم الناس اجمعين .. كيف اذن أتصرف ؟ .. هل  
أقضى على شرفى لأحافظ على شرفى ؟ ..  
ابتسم ..

وابتسمت ..

ولم يقطع الابتسام منهما الصمت بينهما ، ولكنها في هذه  
المرّة لم تسمح للصمت أن يطول :  
— هيه ؟

قالتها طويلة عميقة تحمل التهديد ونفاد الصبر .  
— أفكر .

— ألم تكن تفكر ؟

— الأمر يحتاج الى تفكير طويل .  
— هل تعتقد ذلك ؟

— أنا لم أعدك بالزواج .

— وهل قلت انك وعدتني ؟

— أفكر اذن .

— لا تجعل التفكير يطول .

— أليس لى حق التفكير ؟

— الوقت لا يسمح بالتفكير الطويل ... لا بد أن أعرف

رأيك قبل أن تصبح ناظر الوقف .

— لماذا ؟

- سيكون الوقت متأخرا ، وعزل ناظر الموقف أصعب مائة  
مرة من العدول عن تعيينه •  
— آه فهمت ••  
— أنت فاهم من أول لحظة •  
— هيه •  
— متى أعرف رأيك ؟  
— قبل أن تفكرى فى الكلام سأكون قد انتهيت الى  
رأى •  
— ألم أقل لك انك فاهم من أول لحظة ؟  
وصمت قليلا قبل أن يقول :  
— نعم فاهم •



لن تفلت الفرصة •• لقد جاعتها من حيث لا تحتسب ••  
ولن تدعها تفلت منها •• والأمر فى ظاهره لا غبار عليه ••  
وأى عجب أن يتزوج نامق ابراهيم من نازك هانم شكرى ؟ ••  
كلمة هانم مهمة غاية الأهمية •• أسرتها لا بأس بها وأبوها  
رجل محترم •• ولأ أحد يعرف عن نازك من سوء الا أنا ••  
وأنا الذى يجب أن يتزوجها •• أنا وحدى دون الناس الآخرين  
الذين لا يعرفون عليها من سوء •• لو سألتنى أى شاب من  
الناس الآخرين لقلت له انها خير زوجة •• شخص واحد ينبغى



له ألا يتزوجها .. هذا الشخص هو أنا ، لأننى أنا الشخص الوحيد الذى يعرف عنها ما أعرف .

ولو كانت كريمة رجلا لأصبحنا اثنين ، ماذا أفعل ؟ ..  
لو أبيت .. لو قبلت ..

أيمكن ؟ .. مستحيل .. ولماذا لا ؟ .. لا يمكن ..  
مستحيل .. لو فعلت لما تغير الوضع .. ان اعلان الخطوبة سيربط اسمها بى ، وتستطيع حينئذ أن تجد الفرصة أوسع فى التشهير بى . ولكن هذه المرأة لا تخاف ؟ ألا تخشى ..  
كيف تقبل أن تتزوجنى بالتهديد .. انها داهية ، لقد قدرت أننى لو أسأت معاملتها فسيرمى الناس بالوحشية .. انها ستصبح زوجتى لها على حق الرعاية ، ولا بد أيضا أن تكون دائما موضع الاجلال والاحترام ، فانها ستصبح حرم الباشا ناظر الوقف .. طبعا الباشا ، فكل من أصبح ناظرا على هذا الموقف نال الباشوية ، أيمكن أن تكون حرم الباشا مهانة ذليلة ؟ .. انها داهية .. ولكن الزواج .. هذه الرابطة العجيبة التى لاتماثلها رابطة فى العالم ، كيف يمكن أن تقوم على تهديد ..  
على غير رغبة من الطرفين ؟ .. كم من زيجات تمت فى مصر ولم يكن للزوجة رأى فيها .. فليكن الزواج فى هذه المرة والرجل مرغم .. ولكن الرجل هو الذى يملك الأمر .. يستطيع

أن يجعل حياة زوجته قائمه مريره لا تحتمل .. هذا ممكن اذا لم تكن الزوجة حرم الباشا ناظر الوقف .

ولكن ناظر الوقف يظل مع هذا رجلا ... وللرجل سلطان أى سلطان .. ماذا لو استعملت هذا السلطان .. وهى على كل حال لم تهب نفسها لغيرى .. ولكن ابنى .. أى ابن .. المفروض أن يكون لى منها أبناء .. هذا الابن سيصبح ناظر الوقف من بعدى .. كيف تكون أمه نازك ؟ .. ان لم أتزوجها فلن يكون هناك وقف على الاطلاق وان تزوجتها فلن تكون هناك رجولة على الاطلاق .. عجيبة هذه الحياة .. هل كنت أتصور أن أفكر أنا فى زواج فتاة أسلمتني نفسها وكأنها تقدم لى كوب ماء ؟ .. لا يستطيع الرجل أن يحافظ على المبادئ فى حياته .. لماذا لا يستطيع ؟ .. أليس هو طمعى فى نظارة الوقف الذى يرغبنى على هذا الموقف ؟ .. اننى أنا الذى أختار بين أن أكون رجلا أو أكون ناظر الوقف .. هل أستطيع بعد ذلك أن أدعى أننى صاحب مبادئ ؟ .. المبادئ لا تتجزأ .. اما أن أحافظ عليها جميعا أو لا أحافظ عليها جميعا .. ولكن من سيدرى أننى لم أحافظ عليها .. كريمة .. كريمة .. لا تهتم فهى لن تفتح فمها .. الوقف يضمن سكوتها .. ولكن هل المبادئ هى التى يراها الناس أم التى أراها أنا ؟ .. اننى أبحث عن نفسى أمام نفسى .. لقد سمحت لنفسك أن تقيم هذه الصلة بينك وبين نازك فعليك أن تتحمل المسئولية ... وهل

أتحمل المسؤولية لأننى أقمت معها هذه الصلة أم لأنها هى  
ترغمنى على الزواج ... وترغمنى من أجل نظارة الوقف  
لا من أجل مسئوليتى .. أستطيع أن أقول لنفسى اننى ..  
وهل تقبل نفسى .. وهل أقبل أن .. أليس الأجدر بى أن أكون  
صادقا مع نفسى على الأقل .. وما المأس أن يكون السبب هو  
هذا الواقع ؟ .. ولكن .. الوقف .. أخى .. الوقف عظمة  
ورفعة ، ولكن الرجولة وشعورى بالكرامة واطمئنائى على  
بيتى .. هذا هو الاختيار .. عليك أن تختار بين  
الوقف بما فيه من جلال وعظمة وسلطان ، وبين اطمئنانك على  
بيتك ... مجرد اطمئنانك على بيتك .. جيهان .. الهام ..  
نديرة .. الوقف .. خيل العربية ، لابد أن أشتري خيلا  
للعربية .. هل أشرب من نفس الكأس الذى سقيته لالهام ..  
ونديرة ما ذنبها ؟ .. طلقت أمها .. انها هى التى رفضت أن  
تعيش معى بعد حكاية جيهان .. أترى ان لم تكن الهام  
متزوجة كانت تقبل أن تعود الى الآن وأنا ناظر وقف ؟ ..  
الهام كانت تحب نامق .. نامق الرجل ولن تغريها نظارة  
الوقف .. لقد حطمت معبودها ولن تعود للمعبود المحطم حتى  
وان كان ناظر الوقف .. نظارة الوقف لا تستطيع أن تصلح  
ما تحطم .. وكم انسان فى الدنيا مثل الهام .. ونديرة ..  
قد يسرها أن أصبح ناظر الوقف ولكن هذا لن يزيد حبها

بى .. خيل العربى .. لابد أن أشتري للعربى خيلا .. نازك  
.. كم أكرهك .. أكرهك الى درجة أنى أحبك .. أحبك لماذا تجعلين  
من نفسك ارغاما لى ؟ .. لماذا ترمين بنفسك الى أتون محرق  
من الكراهية وأنت حبيبة .. حبيبة ؟ .. كيف سأحبك ؟ ..  
وكيف سأكرهك ؟ .. أى نوع من الحياة ستقوم بيننا ؟ .. وهل  
ستقوم بيننا حياة ؟

بضع الطربوش مستقيما على رأسه كأنه الطريق الذى  
يجب أن يسيره فى الحياة ، أبيض الوجه ذلك البياض الذى  
ينم على تدخل العنصر التركى فى أصوله .. يميل الى القصر  
بعض الشئ ويميل الى السمنة بعض الشئ أيضا ، عيناه  
بسيطتان لا عمق فيهما وإنما فيهما صراحة .. يعرف طريقه  
تماما لأنه طريق لا التواء فى ظاهره . دخل الى مدرسة الحقوق  
لأن طبقتة كلها يجب أن تدخل الى مدرسة الحقوق .. سمع  
ناظر المعارف يقول لوالده : تصور أننى وجدت الموظفين  
عندى يقيدون اسم ابن أخيك فى كلية الطب فنهرتهم وأمرتهم  
بتحويل أوراقه الى كلية الحقوق بلا كلام فارغ . ولم يكن  
محتاجا الى هذا الحديث لتذهب أوراقه الى كلية الحقوق ،  
ولو كان قد ترك أوراقه لشأنها لاتجهت من تلقاء نفسها الى  
كلية الحقوق . وحين تخرج اتجهت أوراقه من تلقاء نفسها الى  
المحكمة المختلطة . طريق مرسوم وضحت معالمه منذ أعلنت  
الحاضنة أنه ولد ، ولم يكن أبوه مختار بك صبحى محتاجا  
أن يرسم هذا الطريق فالطريق مرسوم بطبيعة مولده ، وهو

يسير فيه لأنه لا يجد فى نفسه رعبه أن يسير فى طريق آخر .  
ولأنه يجده طريقا جميلا مفروشا بالتوقير والاحترام والمكانة  
الملائقة به وبمولده .

هذا كله عظيم ، ولكن يبقى أنا بعد ذلك ... جميل أن  
يحف بى التوقير والاحترام ، وأن يستقيم الطربوش ، ولكن  
أنا ... يسرى مختار ... أحب النساء وأحب الكأس وأحب  
أن يمرح شبابى ويهنا بما يهنا به شباب الناس ... أنا  
يسرى مختار لا أمانع مطلقا أن يستقيم طربوشى ما دمت  
أسير بهذا الطربوش فى الشارع ، ولكن هنا فى هذه الغرفة  
مع سميحة أحب أن أخلع الطربوش وأن أنسى المحكمة المختلطة  
و ...

- تأخرت البوسة .
- الليل طويل .
- ومع ذلك تأخرت البوسة .
- أكمل كأسك .
- أيا منع الكأس .
- بالعكس .
- لماذا المناقشة ؟
- ان لم نتكلم فماذا نفعل ؟
- ألا تعرفين ماذا نفعل ؟
- الليل طويل .



- أنقضيه فى الكلام ؟
- نقضى بعضه •
- خلى الكلام للمحكمة •
- أريد أن أتكلم •
- خلى الكلام للمحكمة •
- أليس لى الحق أن أريد ؟
- رجعنا للكلام •
- لابد أن أتكلم •
- أكره الكلام ... أكره الكلام •
- الكلام مهم •
- كلام فارغ •
- مهم •
- تولى •
- ماذا تنوى ؟
- آخذ بوسة •
- لا تهرب •
- سألت وجاوبت •
- لا أصدقك •
- آخذ بوسة •
- لا أصدقك •
- وكيف أجعلك تصدقين ؟

- لا أعرف •
- ألا يمكن أن تعطينى بوسة الى أن تعرفى ؟
- لا تريد أن تكلمنى جادا •
- أقسم لك أن البوسة أعظم من أى كلام يقوله البشر •
- ومصيرى ؟
- مرتبط بالبوسة •
- ألهذا تأتى الى ؟
- وهل هذا قليل ؟
- قد تزهد فى •
- لا تجعلينى أزهد •
- خائفة •
- أنا لم أكذب عليك أبدا •
- الوضع سيختلف •
- أنا لم أكذب عليك أبدا •



حين كان نامق بك فى مكتبه كانت عيناه شاخصتين الى  
الجريدة لأنه لابد أن يقرأ الجريدة ، ولكن ... ماذا سأفعل  
.. سأراها اليوم .. ولا بد اليوم أن أقول ...

مختار بك صبحى بالخارج يريد أن يلقي سمعادتك .. نعم  
طلب منى موعدا .. ماذا يريد هو الآخر ؟ .. الديك الرومى



أقسم لك أن البوسة أعظم من أى كلام يقوله البشر

- هو •• قل له يتفضل •
- — أهلا سعادة البك •
- — أهلا نامق بك •

ماذا يريد •• منتفخ كعادته •• مؤدب كعادته •• ذلك  
الأدب البغيض •• اكسلانس •• بغيض لماذا تريد أن تتزوج  
منى رغم أنفى ؟ •• الرجل يتكلم •• اسمع ما يقول •• طبعا  
لا بد من مقدمات •• لا بد من كلام فى السياسة فأمثالنا لا بد  
أن يتكلموا فى السياسة اذا ما التقوا •• طبعا سيتكلم بعد  
ذلك فى البورصة •• بدأت البورصة •• ثم الزراعة •• لم  
ينته من البورصة •• حديثها طويل •• اكسلانس •• البورصة  
ما تزال •• ثم الزراعة •• وبعد •• وبعد الزراعة ؟

- — اكسلانس: جئت أخطب ابنتك بديرة لابنى يسرى •
- وكاد نامق لولا الوقار أن يقفز من كرسيه •

— زواج •

ونظر اليه مختار بك دهشا ، وما أسرع ما تملك نامق  
بك نفسه •

— اكسلانس •

— لم أكن أتوقع هذا الحديث •

— لا بد لكل حديث من بداية •

— طبعا مختار بك لا يمكن أن أمانع ، ولكن أنت تعرف

الموضع •

- أنت الوالد •
- ولكن أمها هي التي ترعاها •
- أنت الوالد •
- من جهتي لا أمانع •
- فالأمر منته •
- وهو كذلك •
- وهم مختار بك بالضحك ، ولكنه يسمع نامق يستدرك :
- انما قل لي يا مختار بك •• اننا لم نعرف رأى نديرة •
- ووجم الضحك على وجه مختار وظل لحظات فاغرا فاه ،
- ثم •••
- رأى من ؟ !
- نديرة •• ألم تقل انك تخطب نديرة •
- أنت تمزح لا شك يا نادق بك •• منذ متى تسأل البنات ؟
- صحيح •• فما قولك يا مختار بك غي رجل لا يستطيع أن يقول رأيه في نفسه •• أطبق عليه الزواج ولا يستطيع منه فكাকা • صحيح •• صحيح ••
- صحيح •• صحيح •
- وضحك مختار أخيرا وهو يقول :
- لطيفة هذه المفككة ••• لم يبق إلا أن نسأل البنات •

وضحك نامق فى بلة وحيرة :  
— صحيح •• لم يبق الا أن نسأل البنات •

\* \* \*

- تستطيع الآن أن تقول ماذا تتوى أن تفعل •
- ألم أقل ؟
- ولكنى غير مطمئن •
- ما الجديد ؟
- ألا تعرف ؟
- ولكن ما الجديد ؟
- لن تكون حرا •
- وهكذا ستصبح حاجتى اليك أشد •
- أترى ذلك ؟
- ألا تعرفين ذلك ؟



— ٦ —

اذن سيعود اليوم • مرت سنوات لم أسمع صوته .  
ولم أشعر بأنفاسه تقتدد حولى ، ولم أنعم بهذا الدفء  
الذى أحسه فى جواره ولا أحسه فى جوار أحد آخر من  
الناس . أى مشاعر عجيبة هذه ! كيف أحبه كل هذا الحب وأنا  
لا أراه ؟ !

— أبى ، أأست ابن باشا ؟ !  
— وأى عجيبة فى هذا ؟  
— العجيبة أنك دخأت الأزهر •  
— لم يكن لنا خيار يا ابنى • • وكان لابد أن أدخل  
الأزهر •

— الباشا والدك كان فقيرا ؟  
— لم يكن غنيا على كل حال •  
— سمعتك تقول ان التعليم فى الأزهر كان مجانا •  
— ليس هذا هو السبب •  
— هناك سبب آخر اذن ؟  
— قل لى يا صالح ، ألا تجد فى أبىك شيئا غريبا ؟

— انك أبى •

— هذا لا يكفى •

— كان يمكن أن تدخل مدرسة مع ذلك •

— است صغيرا يا صالح •• ، ان أصلح معهد لمن كان  
مثلى هو الأزهر الشريف •

— من أجل هذا اذن •

ولكن هذه العمامة على رأسى لم تكن تقيد حركته • أو أئننى  
أرجو ألا أكون قييدا على حريته •• تركته يفعل ما يشاء ••  
وأحببته • سبحان الله كيف أحبه كل هذا الحب ! •• أحب  
صوته وأحن اليه •• ذلك الحنين الذى يرويه المحبون فى  
أشعارهم • وما لى أعجب ؟ ألم أكن أحب أبى وأمى ؟ •  
وزوجتى ألم أكن أحبها ؟ •• بعد أن تزوجنا •• لا بأس ولكنى  
أحببتها •• أحببت رعايتها لى وحدها على ••• كل هذه الأنواع  
من الحب مبعثها أنا •• أحببت أبى وأمى وزوجتى لأنهم أحببوني  
•• لقد أحببت نفسى فى حبنى لهم •• ولكن ابنى الذى أغدق  
عليه ما وسعنى الجهد ، وأنفق فى سبيل تعليمه ورغباته  
ما أطيق ، لماذا أحبه كل هذا الحب ؟ •• لعننى أحب نفسى  
فيه ، ومن أدرانى أنه يحمل صورتي ؟ •• يقولون •• ألا يقولون  
لكل والد أن ابنه يشبهه •• ؟ أحقا حبه يحملنى الى الأجيال  
القادمة ؟ •• وما الأجيال القادمة وما قيمتها وأنا فى عالم

آخر لا ينفع فيه مال ولا بنون ؟ .. لعننى أحب أن أعيش فى  
ابنى بعد أن أموت ، وهل نعمت بالعيش قبل أن أموت ؟ لعننى  
أحب أن أعيش فيه مبصرا .. المفروض أننى سأكون مبصرا  
فى العالم الآخر •

— أطل الله عمرك يا بنى •

— قل ما تريد •

— اتركنى أدع لك أولا •

— لأنك تريد شيئا ..

— لأنى أريد أن أدعو لك •

— لماذا ؟

— لأنى أبوك •

— لأنك كل شيء •

— لأنى أبوك •

— هناك كثير من الآباء لا يصنعون ما تصنع •

— أحببت أن تعيش حياتك كما أردت أن تعيشها •

— نعم .. مع أنك لم تقل أبدا ، الا أننى أحسست دائما

أنك تريدنى أن أعيش الحياة التى أريدها •

— من أجل هذا قلت الدعاء •

— وأنا أعلم أنك لست وافر الغنى ، ومع ذلك ..

— اننى وافر الغنى بك •

- لعلى أوسع نافذة تبتلع مالك •
- أحب أن أفعل ذلك •
- ترى يا أبى لو ...
- قل ...
- لو فكرت أن ...
- لو فكرت أن ...
- لقد أنهيت إيسانس الحقوق ومن حقه أن تتزوج اذا نسئت •
- أتزوج ؟ !
- أليس هذا ما تريد ... ما هذا الصمت ؟ ... انك رجل ... قل ... أهو الزواج ما تريد ؟
- هل أنت يا أبى مستعد للزواج اذا كنت أريد أن أتزوج ؟
- طبعاً ...
- فان طلبت اليك مطلباً آخر ؟
- مثل ماذا ؟
- مثل السفر الى الخارج •
- ما أسخف أن يعطى الانسان عن مبادئة .. أصبحت بين شقى الرحى يومذاك ... بين اعلانى أننى أريده أن يحيا حياته كما يشتهى وبين هلعى ولهفتى ان غاب عنى .. سنوات ... سنوات ... وأنا أشيق اليه وهو فى غيبة النهار .. أو غيبة المساء .. لا • وماذا تنفع لا وهى مهیضة الجناح

لا تستند على منطق ؟ .. العاطفة لا تسعف هنا .. أنتقف  
عثرة في مستقبلي لأنك ستشتاق الى ؟ .. ان أعظم تضحية  
أقدمها أن أخفي شوقي .. وأخفي قلقي .. ذلك القلق  
الأسر العرييد المخيف .. ابني وحيد في بلاد غريبة عنى وعن  
أمه وعن الأهل والأصدقاء . ليس ذنبه أنه وحيدى وأننى  
لا أريد أن أقلق عليه .. ليس ذنبه أن المخاوف تتخطف قلبي  
كلما تأخر عن مواعده دقائق .. ليس هذا ذنبه .. وليس تىء  
من هذا جميعه يصلح حجة تقف به أن يسافر الى الخارج .

ويعود ويصفه من يحبني من الناس . أنيق . في مظهره  
نموخ وفي نظراته ابناس وترفع وقدرة على اجتذاب حب  
الآخرين .. أتراهم يصدقوننى في وصفه ؟ .. لعلهم يريدون  
أن يرضوا نوازع الحب في نفسى ، ولكنهم يقولون صفات  
بعينها محددة لعلها لا تكون مكتملة ، ولكن لابد أنه يتصف  
بتيء منها على الأقل .

أما حديثه فأنى أستطيع أن أحكم عليه ... انها هوايتى  
وخبرتى أن أحكم على الناس من أحاديثهم . وهل أملك الا أن  
أحكم على الناس من أحاديثهم ؟ ولكن هل أستطيع أن أحكم  
على صالح وهو ابني ؟ وما يعيننى أن كان حكى صادقا أو غير  
صادق ؟ انه رأى أنا فى ابني وأنا سعيد به ، وليكن للناس  
جميعا بعد ذلك رأى مختلف .. ماذا يعيننى أنا رأى الناس ؟

أنه يستطيع بحديثه أن يأسر قلب محدثه ، ويستطيع أن يشعر من أمامه أن كلاهما مهم ، وأن حديث كليهما على جانب كبير من الأهمية . وهو يجيد ذلك فى براعة لا تكلف بها ولا تصنع ، لو لم يكن رأى هذا صحيحا لما استطاع أن يصل الى منصبه مفتش داخلية فى سنوات قليلة ، ولو لم يكن رأى هذا صحيحا لما استطاع أن ...

— أبى •

— أفندم يا حضرة المفتش ؟

— المفتش يريد أن بفتش عن شىء آخر •

— خير ... يبدو أن آمالك لا تقف عند حد •

— أتريدها يا أبى أن تقف ؟

— أريدها أن تقف عند المدى الذى تستطيع تحقيقه •

— أنا لا أعرف هذا المدى •

— على مهلك اذن •

— ولكن لا بد أن أحاول •

— محاولة جديدة ؟

— حين كنت بالخارج وجدتهم يعرفون عن مصر أكثر

مما أعرف •

— وسائلهم أعظم •

— العامل البشرى أهم شىء •



— وبعد ؟

— لم أشأ أن أقول لك شيئاً حتى أتأكد من عرضهم •

— هل عرضوا عليك شيئاً ؟

— أن أقوم برحلة أكشف فيها بعض واحات في صحراء

مصر ، على أن يقوموا هم بالتكاليف •

— هل التكاليف هي كل ما فكرت فيه ؟

— لقد عودتني •••

— ألا ترحمني •• ألانى عودتك أن تفعل ما تشاء

لا ترحمني ؟

— آمال عريضة أحملها يا أبى •

— حققها يا ابنى •• ولكن اعلم أنك تحققها من نبضات

قلبي الخائف ، ومن هذا الشعور البغيض من القلق يستولى

على نفسي فيجعلنى أفضل الموت على الحياة • حققها يا ابنى

•• حققها •

— لقد أثقلت عليك يا أبى •

— أكثر مما تظن •

— أتدعولى ؟

— ولا أملك الا أن أدعوا لك •

واليوم يعود • أرجو أن يكون قد حقق آماله جميعا

•• لا لا قدر الله •• بل أرجو أن تمتد آماله ما امتدت

به الحياة .. ولكن أرجو فقط أن تكون القاهرة هي مسرح  
آماله وليست أوروبا وليست الصحراء .. لعل عودته المناجحة  
هذه التي تحيطه بهالات من التكريم والحفاوة والتعظيم ..  
لعلها تتيح له من قلوب القاهرة ما تجعله يستقر بآماله فيها ،  
فاننى والله أخشى لو سافر مرة أخرى ألا أراه .. أقصد  
ألا يرانى بعدها .. عوداً حميداً يا صالح .. مرحباً بك فى  
حضان أبيك يا صالح .

— ٧ —

تم الزواج كما شاعت أن يتم • كانت قد دبرت لكل عارض  
ما يهدمه • • كانت تعرف أن الزواج حين يتم بهذه الصورة  
العنيفة التي رسمتها سيكون قاسيا على نفس نامق وسيجعله  
نافرا دائما منها ومن الحياة بجانبها ، ولكنها تعلم أن الناس  
دائما يؤثرون العافية ولا يحبون أن تكون حياتهم نكدة ، وهي  
تستطيع دائما أن تملأ الحياة مرحا وحبًا •

— أغاضب أنت ؟

— لقد رسمت ونجحت •

— اسمع : لقد أعطيتك نفسى لأنى أحبك •

— أم لأنى سأكون ناظر الوقف ؟ •

— اذكر جيدا • • هل كنت مرشحا لنظارة الوقف يوم

أعطيتك نفسى ؟

— لم أعد أذكر شيئا •

— ولا تلك اللحظات السعيدة ؟

— أدفع ثمنها الآن •

— أزواجك منى هو الثمن الذى تدفعه ؟

- ارغامى على هذا الزواج •
- ولو كان لك الخيار ؟
- لعلى كنت أختارك •
- أيهما أجمل : أن تختارنى أم أن أختارك ؟
- الرجال يختارون فى العادة •
- يختارون نساء لا يملكن من أنفسهن شيئاً ، ويعيشون معهن وهم لا يدرون ان كانت زوجاتهم يحببنهم أم هن يؤدين أدوارهن كزوجات بلا حب ولا عاطفة ولا ذكريات •• أما أنت فقد اختارتك زوجتك من بين جميع الرجال ، واختارتك لنفسك ، لم تكن تعلم يوم وهبتك نفسها أنك ستصبح ناظر أكبر وقف فى البلاد •• وتمسكت بك وتزوجتك •• أيهما أجمل عندك ، أن تختار أنت أم أن أختارك أنا ؟ ••
- وسكت •• وبدأ عليه شيء من الزهو ، وأطرق قليلاً ثم رفع رأسه إليها :
- على أى حال لقد أصبحت حرم ناظر الوقف •
- أكثير هذا على ! ؟
- مطلقاً ، فأنت من بيت عريق •
- اذن لماذا تظل تقول هذا ؟ !
- لأن مكانتك تحتّم عليك أوضاعاً جديدة •
- مثل ماذا ؟

- لا حفلات .. لا خروج .. لا زيارات إلا بعلمى ..
- لابد أن أعرف فى كل لحظة ماذا تفعلين •
- لك هذا ، ولكن ..
- نعم •
- عليك أن تعوضنى عن هذا السجن •
- لك ما نسيت من أموال •
- لا يكفى •
- فماذا تريدین ؟
- أريدك أنت .. أوقات فراغك •
- كلها لك •
- اتفقنا •
- اتفقنا •
- ولكن هناك مشكلة صغيرة •
- ماذا ؟
- ابنك •
- ابنى ؟ !
- سيأتى فى موعد غير مناسب •
- كيف .. أنت حامل ؟
- لعله يأتى قبل الشهر السابع •
- قبل الشهر السابع •

— احسبها أنت •

— وبعد ؟ !

— فى الوقف مشايخ كثيرون ؛ وما أسهل أن يصدروا

الفتيا •

— اذن فأنت حامل ؟

— سعيد أنت ؟

— ولكنك لم تستعملى هذا السلاح وأنت تتفذين خطة

الزواج •

— لو كنت احتجت اليه لاستعملته •

— لا تفكرى فى الأشهر واهتمى بصحتك •

— أنت تستطيع أن تصنع كل شئ • • أأست ناظر

الوقف ؟

— اذن فأنت حامل • • اذن فأنت حامل •

وضمها الى صدره ونسى فى حضنها فترات القهر التى

كانت السبب فى فرضها عليه • • نسي كل شئ الا أن هذه

المرأة المثيرة ستصبح قبل شهور سبعة أم ناظر المستقبل •





وضمها الى صدره ونسى في حضنها فترات القهر

لم تكن نديرة تحب أن تبقى فى بيت أمها ، فقد كانت تشعر دائما أنها فى غير مكانها ، فان الهم بعد أن طلقت من زوجها أرادت أن تنتقم لهذه الفضيحة التى أطلحت بها وبزوجها . وأرادت أن تشعر أنها امرأة تستطيع أن تجد من يرغب فيها كما استطاع زوجها أن يجد من ترغب فيه . وزواج مثلها ليس عسيرا فهى جميلة وهى ثرية وهى فى ريعان الشباب ، ولم تكن خيانة زوجها لها الا لمرغبة الخيانة فى ذاتها . وفى كثير من الأحيان تصبح الخيانة الزوجية هدفا لا مبرر له ، وقد كانت خيانة نامق من هذا النوع . وحين فكرت الهم فى شأن نديرة وماذا يمكن أن يصير اليه أمرها اذا هى تزوجت رجلا آخر ، طمأنت نفسها أن نديرة طفلة ما تزال ، وسوف تجد المشكلة فترة طويلة حتى تصبح مشكلة خليقة بالتفكير والبحث .

لم تمر شهور على فضيحة نامق حتى وجدت الهم من

يسألها رأيها شئ الزواج ، والهام ذات ذكاء بارع تستطيع أن  
توافق فتصوغ الرفض كأنه موافقة •

— ومن يرضى بزوجة مهجورة ؟

وجملة كهذه من الهام الثرية الجميله ابنه فهمى باشا  
محسن تستطيع أن تدور بمحافل القاهرة جميعا فى ساعة من  
سهرة ، وقد استطاعت الجملة فعلا أن تصبح على الشفاه ،  
واستطاعت أيضا أن تصطاد لها الخطاب من كل راغب فى  
ثروة أو راغب فى شهرة أو راغب فى جاه أو راغب فى زواج  
أو راغب فى هذا جميعا • ولأمر غير مفهوم يجتذب الثراء  
الثراء وخاصة فى الزواج • لعل العروس تحب أن تطمئن أن  
زوجها لن ينفق من مالها ؛ أولعل الزوج يحب أن يطمئن أنه  
سيجد فى مال زوجته سندا ان نفدت ثروته ، أو يجد فى ثروته  
و ثروتها جميعا وسيلة لمزيد من الثروة • على أبة حال هى  
مظاهرة من الظواهر الكونية تحدث ولا تبرير لها ولا تحتاج  
الى تبرير كجاذبية الأرض أو كرويتها •

وهكذا تم زواج أحمد بك طلعت القاضى بالمحاكم المختلطة  
وابن طلعت باشا على ، من الهام هانم فهمى ابنة فهمى باشا  
محسن وطيقة نامق بك ابراهيم أحد المستحقين فى الوقف ،  
ولم يكن الى ذاك الحين مرشحا لنظارة الوقف ولا كان يخطر  
ببال أحد أنه سيكون مرشحا فى يوم من الأيام •

وهكذا اطمأنت الهام أنها استطاعت أن تحصل لنفسها

على زوج خير من طليقها هذا العرييد الذى يخونها ولا يحسن  
حتى أن يخفى خيانتة •

وأنجبت الهام لزوجها الجديد خديجة ، ولم تكن نديرة  
قد أكملت من عمرها السنوات الثلاث • ورغم أن أحمد كان  
يحاول دائما أن يكون رقيقا مع نديرة ، إلا أن نديرة كانت دائما  
تحس أنها فى غير مكانها ، وكانت الأم تحس بذلك فكانت  
تحاول بفيض من العطف أن تمحو من ابنتها هذا الشعور ، ولكن  
العطف المسكوب فى سعة يزيد نديرة سُعورا أنها فى غير مكانها  
• • • فهل مكانى بيت أبى ؟ • • وماذا يستطيع أبى أن يهينى لى  
وهو يعيش وحيدا مشغولا بفراغه ؟ • ان بيت أبى أيضا  
ليس مكانى • • شعور شب معها تحس به وهى طفلة ، ولم  
يباغتها التفكير فيه حين هيا لها سنها أن تفكر •

وكان أحمد يحس من نديرة بهذا الشعور فلم يكن غريبا  
منه أن يجذب زواجها من يسرى • ولم يكن غريبا من الأم أن  
تقبل الزواج فالشباب مناسب من كافة الوجوه •  
أما نديرة فقد أحست أنها تستطيع أخيرا أن تكون فى  
مكانها الطبيعى •

وأراد نامق أن يظهر عطفه على ابنته فأصر أن يكون  
زواجها فى قصره فابنة ناظر الوقف يجب أن يكون زفافها  
فى قصر ناظر الوقف •

وحين رأت الهام نازك لم تحقق فيها فهى تعرف كيف

تكون متكبره ، ولكنها أحست بنسور عجيب من الأرضى ، انها فى عمر نديرة أو تكاد .. ان هذه السيدة التى تزوجت طليقى لابد أن تخونه .. ستنتقم لى هذه الفتاة .. لا .. لم تستطع السنون الطويلة أن تمحوا ما أذلى به ، طعننى فى أنوثتى وفى سمعتى وجعل منى أحدىة بين الناس .. ان لم تنتقم لى نازك فانى أنا سأنتقم .. بل انى سأنتقم حتى وان انتقمت نازك .. انها حلوة .. وصغيرة .. وحامل فى شهورها الأخيرة ولم يمر على زواجها خمسة أشهر ، فليصبح ناظر وقف وليصبح باشا وليصبح أعظم انسان فى الوجود . فان هذا جمعه سيجعل الانتقام أعظم روعة ، فكما ارتفع المكان الذى يسقط منه كانت السقطة أبشع وأفظع وأدعى الى شفاء النفس التى تريد أن تنتقم .

كان صالح واقفا فى الحفل حائرا ... ان بعضا من هؤلاء كان زميلا له فى كلية الحقوق ، ولكن أحدا منهم لم يكن صديقا له .. انه لا يدرى كيف جىء به الى هذا المكان . لقد وجد الدعوة موجهة اليه من نامق باشا ، وطبيعى أن يعرف هو نامق باشا فكل مصرى يعرفه ، ولكن كيف عرفه نامق باشا أو حتى كيف عرفه موظف الوقف المختص بتوجيه الدعوات ؟

أنتهى مكانا وراح يجيل عينيه فى الحفل ... انها الصحراء ... انهم جميعا حبات رمل متشابهة ، الايماءة هى



الايماة ، والابتسامة هي الانحناءة ، والانحناءة هي الانحناءة .  
•• صحراء من الأرستقراطية مهما تتعمق فيها لن نجد ماء ••  
قليلون منهم قليلون اهتموا بالبحث ، وقليل منهم أقل اهتم  
بالفن ، ولكنهم جميعا يهتمون بالايماة والابتسامة والانحناءة  
••• ولكن هناك شخصيات أخرى •• هؤلاء الذين لم يقف  
بهم مجد آبائهم من زرع أسمائهم في أرض مصر لتصبح  
نباتا مباركا ولتصبح شجرات راسخة في تاريخها ••  
أصولهم مصر وجذورهم في مصر ، وفروعهم تستاف هواء  
مصر ، وتهب أريجها لأرض مصر ولسماء مصر •• هؤلاء  
هم الواحات في صحراء الرمال والماء في الأعماق والاختصاص  
المزدهر بالحياة في الاصفرار الشاحب بالموت من لون الصحراء  
•• ولا تكون الواحة الا في الصحراء ، ولا يحلو الماء كما يحلو  
في البيد الواسعة للمسافر الصديان يقتله العطش أو يكاد  
حتى يجد لمعة الماء وظل الشجر •

أريد أن أكون مع هؤلاء •• بينهم •• انهم يعيشون  
مع حبات الرمل هذه ، ولكن كما تعيش الواحة من الصحراء •  
— مرحبا أستاذ صالح •

وبهت صالح وهو يجد نفسه وجها لوجه أمام نامق باشا  
في وجهه المتكبر وفي ابتسامته التي تعرف كيف ترسم نفسها  
عابى شفتيه ، ويعرف نامق أنه آزاء بختة ترمى بظلها الكثيف  
على ضيفه •

— عرفت صورتك من الجرائد ، فقد قمت بعمل عظيم فى  
الصحراء •

— يشرفنى ثناء سعادتك يا أفندم •

— خريج حقوق ومكتشف حقا ، انك من الشباب الذى  
تعتز به مصر •

— هذا رأى يملؤنى فخرا •

— أريدك أن تعمل معى •

— أنا يا أفندم ؟

— تشرف على قضايا فى الوقف ، وتكون الصلة بيننا وبين  
الحكومة •

— يا أفندم •

— تستطيع أن تأتى لمقابلتى غدا فى الساعة مساء •  
نأنا دعوتك ليكون أول يوم تدخل فيه القصر يوم فرح ، ولأتعرف  
بك أيضا بعد السمعة العريضة التى كسبتها •

— دعوتك شرف ... وسأكون عند سعادتك فى الموعد •

— شكرا .. تعال أعرفك على موظفى الوقف .. أظنك

تتعرف بعض المدعويين فان منهم من تخرجوا فى الحقوق مثلك  
.. تعال فكثيرون هنا يحبون أن يتعرفوا بك •

ويتأبط نامق باشا ذراع صالح المذهول ويجوسان خلال

الحقل ، ولا يستطيع صالح أن يجد شيئا يقوله الا :



— ألاحظ أن سعادتك تميل الى طراز لويس السادس عشر  
في الأثاث •

— لاحظت ذلك ؟ الواقع أنني أحب هذا الطراز ، كما أنني  
أتسفق على لويس السادس عشر •

— ورت الثورة مع العرش •

— وكان الذوق في عصره قد بلغ القمة •

— فعلا • • فأننى أعتقد أن طراز الامبراطورية أو نابليون  
في الأثاث يوحى بالغظة والخشونة •  
— هذا طبيعى •••

— وألاحظ أيضا أن سعادتك تعجب باولأبيسون الذى  
يصور الأشخاص •  
— فعلا •

— أتراك تحبه لأنك تحب الانسان ؟

— لا أعرف •

— حتى اطارات الجوبلان كلها أشخاص •

— انك لم تضع وقتك في أوروبا •

— ان دراسة الأوبيسون والجوبلان وأنواع الثريات  
وأنواع الستائر والسجاجيد دراسة لتفكير العصر وثقافته •

— قليلون من الذين دخلوا القصر التفتوا الى ما التفت  
اليه •

— لعل الذين يدخلون يعتبرون رؤيتهم هذه الأشياء

أمرا طبيعيا ، أما أنا فلم أر مثل هذه الأنسياء الا فى اللوفر  
وفرساي متاحف باريس ولندن •

— أنا أعلم أن أباك ميسور الحال •

— شيخ هو متخرج من الأزهر ، فهو لا يفكر فى تأثيث  
بيته الا بالشيء النظيف اللائق •

— اننى أزداد اعجابا بك فى كل كلمة تقولها ••• تعال •••  
لا أدري ما هذه المصادفة ؟ ان أول من سأعرفك به أنت  
تعرفه طبعاً ••• أحمد بك طلعت •

كانت عينا فتوح تتبع— نامقا وصالحا فى دربة •• لا بد  
أن تعرف كريمة بهذه الصلة الجديدة ••  
ويستمر نامق فى حديثه مع صالح :

— طبعاً فى أوروبا كانت كل الحفلات التى تحضرها يختلط  
فيها الرجال بالحریم ••• كثير من الحفلات هنا تقام على  
أساس الاختلاط ، لا أعرف ان كنت حضرتها أم لا ••• أنا  
كناظر وقف كان لا يمكن أن يختلط عندى الرجال بالحریم •  
— اسمح لى سعادتك أن أنقل اليك ما يقوله الناس •

— بل اسمح لى أنت أن تفعل ذاك معى دائماً ••• فأهم  
سوء اخترتك له أننى أعرف أنك رجل مجتمتع وتستطيع أن تتقل  
لى دائماً ما يقوله الناس •

— بقولون أنك بعد أن صرت ناظر وقف أصبحت انسانا

آخر •

- هذا مديح على ما أظن •
- اننى يا سيدى أعتبره مديحا عظيما •
- لقد قلت رأيك فى قبل النظارة بذكاء تسديد ... على
- كل حال أرجو أن تنقل الى بعد ذلك كل ما تسمعه مديحا كان
- أم ذما •
- ما أراه من بساطة سعادتك سيتجبنى على الصدق •
- المديح أسمعها كثيرا بحكم السلطة التى أمارسها •
- أعرف ذلك •
- أحب أن أسمع شيئا جديدا •
- اذن فأنت تحب أن تكون عادلا •
- بقدر الطاقة •
- سعادتك تعرف أن العدل ليس سهلا •
- ألم تنقل اننى تغيرت ؟
- ولكنى لا أعرف مقدار التغير •
- ستعرفه • • تأكد أنك ستعرفه •

هل ظن أن الدنيا دانت له ؟ .. هل خيل اليه أنني نسيت ؟  
.. أريد أن تطمئن به الحياة وينعم في نظارة الوقف وبالزوجة  
الجديدة وبالوليد القادم ؟ .. أنني أعرفه يحب دائما أن  
يطمئن .. يحب أن يغامر ولكن في تكتم ، ويحب أن ينتهب من  
الملذات كل ما تصل اليه يده ولكن على أن يكون مطمئنا .. كيف  
ركب هذا التركيب العجيب ؟ لست أدري ولا يهمني أن أدري ،  
ولكن هو كذلك .. لا يحب القلق ولا يحب أن يتسرب الى  
نفسه شيء مما يثير الشكوك ... أمطمئن هو لزوجته ؟ ..  
اننى أعلم أنه يحاول أن يطمئن نفسه ما وسعه الجهد ، فهو  
بيث حولها العيون الرواصد وهو يمنعها من الزيارات وهى  
لا تلتقي برجل الا الأغوات .. لالا ألماظ ولالا بشير .. أعرف  
كليهما .. كانا لا يحسنان فى الدنيا شيئا ، فلا هما من النساء  
حتى أكلفهما بما يكلف به النساء من الخدم ، ولا هما من  
الرجال حتى أعتمد عليهما فيما يقوم به المخدم من الرجال ..  
ولكننى كنت أحب كلا منهما فهما يحفظان الكثير من الحكايات ،  
وهما يستطيعان دائما أن ينقلا الى أخبار السيدات الأخريات

•• أنتستطيع نازك أن تكتفى بما يرويه لها لالا الماظ ولالا بشير ؟  
•• انها امرأة تحب أن يعجب بها الرجال ولا يمكن أن يعجب  
بها الرجال وهى فى خدرها لا ترى الى الناس ولا يرى  
الناس اليها • ولكنها قادرة ••• تستطيع أن تصنع ما تشاء  
••• استطاعت أن تتزوج نامق وليس هذا بالأمر اليسير ••  
ما كان نامق ليتزوج امرأة اتصل بها الا اذا وقع تحت طائلة  
ارهاب شديد •

كيف استطاعت نازك أن تدبر هذا الارهاب •••: انها  
قادرة •

وها هى ذى فتاوى المشايخ تتوالى أن الجنين يمكن أن  
يمكث فى بطن أمه أقل من ستة أشهر ثم يخرج الى الوجود  
وليذا شرعيا أواجه الحياة فى ثقة واطمئنان • انه ابن العقد  
الشرعى وليس ابن اللحظة العابرة •• انه تدبيرها •• ولم  
تنس الأطباء فأبحاثهم عن فترة بقاء الوليد جميعها تؤيد هذه  
النظرية التى وضع أسسها المشايخ •• أطباء جدد يريدون أن  
يبدعوا طريقهم الى الحياة بالغنى ، ولكن لا يهم فانهم أطباء  
على كل حال •• انه تدبيرها •• فلو أن نامق فكر لانتدعى  
أكبر طبيب وطلب اليه أن ينشر بحثا يؤيد هذا الرأى ،  
وسينسى نامق فى غرورة أن الطبيب الكبير لن يقبل فسماعته  
عنده أعظم من سلطان الباشا الناظر ••• ألم يلفته الى هغار

الأطباء الا هي . . . . انها قادرة . . . . ولكن لا أريد أن أتركها  
وشأنها . . . . أريدها أن تجد الطريق حتى تسير فيه . . . .

— أحمد بك •

— أفندم الهام هانم ؟

— متى تعود نديرة من شهر العسل ؟

— أنت أدري •

— أظنها ستعود بعد أسبوع •

— ربما . . . هل أرسلت اليك خطابا ؟

— لقد قالت قبل أن تسافر أن لن تغيب أكثر من شهرين ،

فهي تحب أن تقضى الشتاء فى القاهرة •

— لعلها تعود بعد أسبوع •

— أريد أن أقيم لها حفلا •

— ألم يقم لها أبوها فرحا ما زالت القاهرة تتحدث عنه

حتى الآن ؟

— ولكنى أنا لم أقم لها حفلا •

— وما البأس ؟ نقيم لها حفلا •

— أريده حفل الموسم •

— وليكن حفل الموسم •

— أرجو أن تأمر بالأعداد له •

— ألا نحدد موعده ؟

— بعد عودتها بأسبوع •

- ما اسم الموظف الذى تقول انه عين فى الموقف وأصبح  
ذا حظوة لدى نامق ؟
- انك لا شك تعرفين اسمه ، فقد نال شهرة واسعة منذ  
كشوفه فى الصحراء •
- أتحاسبنى على النسيان ؟ • • ما اسمه ؟
- صالح عبد المعال •
- آه تذكرته •
- لماذا تسألين ؟
- أريد أن أدعوه •
- ما المناسبة ؟
- بلا مناسبة •
- الهام هانم • • هل لديك مشاريع لا أعرفها ؟
- تستطيع أن تعرفها اذا شئت •
- انى أشاء لا شك •
- تعرف أنتى لا أنال نصيبى كاملا فى الموقف ، وأنا أستكبر  
أن أتحدث الى نامق •
- الهام هانم • • أعتقد أن هناك سببا آخر •
- أليس هذا سببا وجيها ؟
- وجيه حتى أعرف السبب الحقيقى •
- ما دام هذا السبب يكفىك فادعه •

\* \* \*



كانت الثريات تكاد تضيء وحدها حتى ولو لم تصل اليها  
الكهرباء ، فهي من الكريستال الثقيل الذى يطلقون عليه باجيس .  
كرات ضخمة من البلور كأنها الماس تخطف الأبصار خطفا .  
وكانت البسط من النوع الصينى الذى يكتف القدم جميعا  
حتى ليقطع السائر عليها أقدامه منها اقتلاعا . وكان الأثاث  
فخما غاية الفخامة فهو جميعه من الأوبيسون الذى صنعته فى  
فرنسا يد رقيقة من خالص الحرير فى عهود الملكة الباذخة  
لفرنسا ، وكانت الستائر أيضا من الأوبيسون .

وكان المدعوون جميعا فى أفخر ملابسهم ، فالرجال  
فى ملابس السهرة السوداء ، والنساء فى ذروة افتتاحهن  
بفساتينهن ، والجواهر تتلألأ تحت الثريات كأنها ضياء من  
المضياء والمعاطف والأوشحة الفريز الزبلين التى تقذف بها  
أيد ناعمة فى غير اكترات عند المدخل ، فكأنما الناس قد  
صنعوا لهذا الأثاث أو كأنما الأثاث قد صنع لهؤلاء الناس ،  
فالأثاث والآدميون جميعا أجزاء من صورة رائعة الفخامة  
ولا يكتمل قوامها الا بوضع هذه الأجزاء بعضها الى بعض .

والهام تمر بالمدعوين تحييمهم فى عظمة وأدب وفى مران ،  
والمدعوون يعرفون ما يصنعون فلا يروعهم مما حولهم شيء  
ولا يبهرهم مما يحيط بهم بذخ أو فخامة ، ونديرة تمر بين  
القوم وقد وضعت على شفيتها ابتسامة تريدها أن تكون سعيدة  
فتتجح فى ذلك نجاحا لا بأس به ، ويسرى يسلم على المدعوين

شاردا فعيناه الى المدخل لا تريمان عنه .. أكان لأبد لسميحة  
أن تصر على المجيء ؟ تريد أن ترى بيتي ؟ .. معها حق ..  
كيف تستطيع أن تراه الا فى حفل كهذا ؟ ماذا أفعل لو أحست  
نديرة ؟ .. وما الذى يجعلها تحس ؟ .. أيستطيع أخوها أن  
يتصرف كما يتصرف هؤلاء القوم ؟ .. أتستطيع هى ؟ ..  
أكان لها أن تجيء ؟ .. وما البأس أن تجيء ؟ .. لا أحد يعرف  
صلتى بها .. انها ذكية .. ونديرة ذكية .. ابنة ناظر الوقف ..  
يستطيع أن .. ولماذا ؟ .. ولكن تأخرت سميحة .. ترى  
ما نصيب نديرة من الوقف ؟ .. ان لها نصيبا عن أبيها ونصيبا  
عن أمها .. وما الفائدة ؟ الوقف لا يباع .. ولكنه يدر ريعا  
عظيما .. أتفكر فى المال الآن ؟ .. سميحة طلباتها لا تنتهى ..  
وصالح واقف ينفذ الحفل بعينيه .. أصبح له أصدقاء  
بين هؤلاء الناس .. فكثير منهم سعى اليه لما له فى الوقف  
من نفوذ .. انه لا يبحث عن هؤلاء الذين سعوا الى نفوذه ،  
انه يريد هؤلاء الذين يعجب بهم من أبناء الفلاحين الذين  
صنعوا أنفسهم بأيديهم وبما قدموا لبلادهم من تضحيات ..  
هؤلاء الواحات الذين يراح اليهم فى صحراء الأرسنقراطية ،  
وقبل أن يعثر على أحد منهم :

— أهلا صالح بك .

— الهام هانم لا شك ؟

— ذكاؤك لا شك فيه ..

— أنا سعيد بلقائك •

— اليوم أرجو أن تتمتع بالحفل ، ولكنى أريد أن أراك فى  
فرصة هادئة فان لى معك حديثا •

— أنا دائما تحت أمرك •

— استمتع الليلة بالحفل وسوف أرسل اليك قريبا •

— تحت أمرك •

وتنصرف عنه الهام وتعود عيناه تجوسان فى الناس ،  
ولكن غينين أخريين كانتا تنتظران اليه دون أن يحس •  
انه أنيق فى غير تصنع لا تكلف فى ملبسه ، ولكنه يبدو وكأنه  
يهتم بأناقته خير الاهتمام •• ان قوامه الرشيق يتيح له  
هذه الطبيعة النادرة من الأناقة البالغة التى تبدو وكأنها  
مخالوفة معه ، لم يبذل فى خلقها جهدا أو تفكيراً •• ويقولون  
انه يجيد الحديث ، ولا شك أنه يتقن فن الحياة ، فالرجل  
الذى ينتقل من انجلترا الى الصحراء رجل يتقن فن الحياة  
•• ما الذى يجعله واقفا وحده هكذا ؟

— وحدك ؟

— أبحث عن صديق •

— ألا تعرف أحدا من هؤلاء ؟

— أعرف جميع الرجال تقريبا •

— فلماذا أنت وحدك ؟

— لأنى أبحث عن صديق •

- ألا يعجبك منهم أحد ؟
- وأنت ؟
- أنا صاحبة البيت •
- أعرف ذلك •
- كيف عرفت ؟
- لأنك تفضلت ببدء الحديث معي •
- فقط ؟
- ولأنني أعرف أن لالهام هانم ابنة أخرى غير نديرة هانم •
- فأنت لا تحتاج الى أن أقدم نفسي •
- خديجة هانم لا تحتاج الى تقديم نفسها ؟
- ولكنك تسألني ان كان المدعوون يعجبونني أم لا ؟
- أرى في وجهك شيئاً لا أراه في وجوه الآخرين •
- أمديح هذا أم ذم ؟ •
- ماذا تعتبرينه أنت ؟
- ان من تراهم هم صفوة الأرستقراطية المصرية •
- ومع ذلك أسألك ماذا تعتبرين قولي ؟
- يصعب أن نطلق حكماً عاماً •
- لا زلت مصراً على السؤال •
- انك تريدني أن أذم هؤلاء المدعوين •
- هل تعتبرين ابداء رأيك فيهم ذماً ؟

- أنت تستدرجنى للذم •
- ربما •
- يسهل جدا أن أكسب إعجابك بى بذهمهم •
- على أن يكون هذا رأيك •
- ان ذمهم ظلم كبير •
- أتعتقدين ذلك ؟
- انهم أبناء بيتهم •• ورثوا ما لا يعجبك فيهم مع الثروات التى ورثوها •
- ولكنهم عاشوا فى مصر عمرهم جميعا فلم يستطيعوا أن يكونوا مصريين أبدا •
- ماذا تقصد بمصريين ؟
- يكفى أن تسمى لغتهم •
- ألم أقل لك انهم ورثوا بيتهم ؟
- كانوا يستطيعون على الأقل أن يتعلموا لغة بلادهم •
- وهل اللغة فى رأيك هى دليل المصرية ؟
- أساس من أهم الأسس •
- بعضهم يتكلم العربية •
- أيرضيك هذا ؟
- لا أريد أن أظلمهم •
- ولكنك أنت تجيدبن العربية •
- أصدقائى جميعهم من المصريين •

— وبجدثونك بالعربية •  
— أجيبهم بالعربية •  
— لماذا لم يصنع هؤلاء مثلك ؟  
— لا أدري . ولكنني صمت منذ طفولتي على أن أتقن  
العربية •

— ونجحت •  
— انثى . أحفظ شعرا •  
— لا أصدق •  
— أنت تحب شوقي ؟  
— حتى هذا تعرفينه ؟  
— اننى أقرأ الصحف بانتظام •  
— لماذا ذكرت شوقي ؟  
— لأننى أحفظ قصيدة له فى مرقص كهذا الذى نحن فيه •  
— المؤكد أن شوقي لم يتصور أن قصائده فى وصف  
المراقص ستذكر فى أثناء هذه المراقص •  
— لك حق ، لقد وصفها لنفسه ولم يصفها ليقراها  
المراقصون •

— المراقصون لا يقرءون العربية •  
— ولكنى أحفظ القصيدة •  
— أى قصائد المراقص تخفظينها ؟





لكنهم عاشوا في مصر عمرهم جميعا فلم  
يستطيعوا أن يكونوا مصريين أبداً



— جميعها •

— جميعها ؟

— حتى :

مال واحتجب	وادعى الغضب
ليت هاجرى	يشرح السبب
عتبه رضى	ليته عتب

— ألاحظت فى هذه القصيدة كلمة :

فارسية ؟

— نعم :

فارسية	بزت العرب
بيد أنها	بعض ما وجب

— ألاحظت أن كلمة فارسية تكون شطرة كاملة ؟

— ومع ذلك راح حافظ يسخر من القصيدة •

— المنافسة بين الفنانين مكسب لمن يستقبلون الفن •

— ولكن ليست هذه القصيدة هى أحبها الى •

— فأياها اذن ؟

خبأها كاهن	فهى وجود وعدم
طال عليها القدم	ناحية فى الهرم

— يخيل الى أنه لم يقل هذه القصيدة الا ليمدح نفسه •

— وهو محق •

— أتذكرين هذا الأبيات :

أى فتى ذلك	من العربى العلم
بشرىها ساهرا	ليلقه لم ينم
قلن تجاهلنه	ذلك رب القلم
شاعر مصر الذى	لو خفى النجم لم

— وانه لكذلك •

— أتخفظ له شعرا ؟

— أحبه لدرجة أننى لا أستطيع أن أحفظه •

— لقد بدأت تستعمل أسلوب أولئك الذين لا تعجب بهم •

— أترين ذلك ؟

— وأرى أنك أيضا بدأت تضع على شفتيك أحيانا ابتسامة

كالتي يضعونها على شفاههم •

— أرجو ألا يكون هذا ذما •

— أرجو أن تظل بطبيعتك •

— ربما كانت سيئة •

— لن تكون أسوأ من التكلف •

— التيار حولى شديد •

— ان الذى خاض الصحراء لا يجوز أن يقول هذا •

- أخشى على نفسى •
- أنت محق فى خشييتك •
- ادعى لى أن أظل كما تريدني أن أكون •
- سأدعو لك أن تظل كما تربد أنت أن تكون •
- ليس المهم الابتسامة والحديث •
- انها مظاهر •
- الذى أخافه هو أن أتغير من الداخل ،
- أبدأت تشعر بهذا الخوف ؟
- الوظيفة التى أشغلها وثقة الباشا فى تجعلنى فى
- قلق دائم أن أفقد كل هذا فى لحظة •
- بماذا كسبت ثقته ؟
- أقول له الحق •
- فقل له الحق دائما •
- ان أمثاله يتحملون الحق مرة بين عشر مرات من
- النفاق •
- فماذا أنت صانع ؟
- ألم أقل انى خائف ؟
- أنتوى أن تتافق !
- انى خائف •



حين دخلت سميحة الحفل التقطتها عينا يسرى فسارع اليها ، وكانت اللحظات التي مرت بها قبل أن يصل اليها عصبية ، فقد هالها ما ترى ووجف قلبها وتسمرت مكانها تبحت عن يسرى ، فقد خيل اليها أنها تغرق فى بحور من الفخامة والنور لم تتعودها • نظرت الى أخيها فوجدته فاغرا فام مذهولا فازداد اضطرابها ولم تجد شيئا تفعله الا أن تنتظر الى أخيها •

— اقفل بوزك •

وانتبه فتحنى الى نفسه وأقفل فمه ، ولكن التعبير الذى فى عينيه لم يستطع التغلب عليه • لحظات مروعة ومخيفة : وأدركهما يسرى :

— أهلا •

— الحقنا •

— أثبتى •

— أنا لا أعرف أحدا هنا •

— الحمد لله •

— ماذا أفعل ؟

— تعالى أولا أقدمك الى نديرة •

— ماذا ستقول لها ؟

— تعالى •

\*\*\*

— فتحى بك فاضل من رجال الأعمال ، والسيدة أخته  
سميحة هانم فاضل •  
ونظرت اليهما نديرة نظره عميقه ولكنها كافية لأن تعرف  
أنهما عريان عن هذا الوسط جميعه • ولكنها لم تشك فى  
شئ • فزوجها يستطيع أن يعرف فى الحياة العامة أناسا من  
طبقات مختلفة •  
— أهلا وسهلا •• شرفتم •• تفضلوا •

هن يقبلن لزيارتي وبقدمن الاجلال والاحترام .. سيدات معروفات بذواتهن لا يتغيرن ، حديثهن معاد لو كان طليا لفقد طلاوته ، فما الخطب وهو من أول أمره حديث ثقيل لا رواء فيه ولا جاذبية ؟ وهو يأبى أن أتترك القصر إلا لزيارات يعرفها ، وهو حريص على أن يعرفها ، ثم هو حريص بعد ذلك على أن يتأكد منها بطريقة أو بأخرى . فالسائق من القصر ، ولالا الماظ ولالا بشير رقيبان لا تفقر لهما همة ولا يهن لهما نشاط ... وماذا بصنعان ان لم يرقبا ؟ .. لقد عرفا منذ وقت طويل أن الوظيفة الوحيدة التي يستطيعان أن يقوموا بها هي المراقبة والحديث عن الغير ، وهو أيضا وليد المراقبة .

لقد نفذ نامق اتفاقه ومن أدرائى أنه نفذ ؟ اننى لا أستطيع أن أفرض عليه من العيون مثلما يفرض .. كيف أعرف أنه حين يذهب الى الاسكندرية يذهب للعمل وحده ؟ ان قصره هناك على البحر يستطيع أن يستقبل فيه من يشاء ، وأنا هنا أطمئن نفسى أنه نفذ اتفاقه .

كيف أستطيع أن أثبت حوله العيون مثلما يثبتها حولي ؟ ..  
ان الكوة الوحيدة التي أطل منها على العالم الخارجى هي  
كريمة ، وهو لا يجسر أن يقصدها عنى حتى لا تفشى من سرى  
ما يريد له أن يظل سرا .

أين ذلك الهمس الأنيرى الذى كان ينسج فى أرجاء المكان  
حين أطل عليه ؟ .. رعوس النساء تتمايل ، وعيون الرجال  
تثبت ، ويتهامس الجميع ، ويشعر المكان أن شيئا جديدا حدث  
فيه .. وكان دائما جديدا .. هذه النشوة التى كنت أحس  
بها مزيجا من الزهو والفرح والاعجاب بنفسى والرضا عن  
الناس .. كنت أحس أنهم يقبلوننى بعيونهم ، وكنت أحب  
أن أرد لهم هذه القبلات .. وكنت أحاول بعينى أن أفعل ..  
طال الأمد على هذا جميعه .. وكان لابد للأمد أن يطول  
... تزوجت من ناظر الوقف .. وجاء نادر . لا يمكن أن  
أذهب الى الحفلات ونادر فى طريقه الى المجرى .. وقبل  
أن يظهر فى الطريق كان هناك هذا الاتفاق بينى وبين نامق  
ألا خروج ، وكان لابد من الطاعة أو من التظاهر بالطاعة فى  
أول الأمر . فقد كان نامق طول هذه الفترة لا يستقر على حال  
... فهو حينما لطيف يعاملنى برقة ، وهو حينما خشن أحس  
القلق والخوف فى عينيه .. ليس هذا غريبا على الرجال مع  
المرأة التى تقدم نفسها قبل الزواج .. انه دائما يخاف ويرغم  
الخوف أن يستكين فى البعيد من نفسه ، ولكن الخوف لا يزول



أبدا • حين جاء نادر كان يتفرس فيه •• يريد أن يرى نفسه  
•• فهو يتنسم حيناً ويعبس حيناً ويتفرس •• لم يعبأ بالهمس  
فى البيوت فلم يكن الهمس ليرقى الى أذنيه •• حاول صالح  
أن يشير ولكنه زجره شى عنف فأمسك ، لوى الحديث الى  
المديح لى والاعلاء من تسأنى والاشادة بنقاء سمعتى وعراقة  
محتدى .. ان نامق كثير الحديث عن صالح .. يبدو أن صالح هذا  
ذكى يعرف كيف يرضيه ويعرف كيف يبدو صريحا كلما كانت  
الصراحة حبيبة الى نفس نامق . أريد أن أعرف هذا الصالح .. لقد  
جعلنى نامق أفكر فيه كثيرا •• كريمة رأته •• انها أيضا  
بحديثها العابر جعلتنى أفكر فيه •• على أى حال كان هو  
الوحيد الذى استطاع أن يرفع الهمس الى أذن نامق ، وكان  
هو الوحيد الذى يستطيع أن يفعل ذلك فهو يعرف كيف يدور  
بالحديث بعد ذلك •



- ألف مبروك يا سعادة الباشا •
- بارك الله فيك يا صالح •
- كم كنت أرجو أن تكون هذه التهنئة خالصة •
- ولماذا لا تكون خالصة ؟
- يهمسون •
- اياك أن تذكر همسهم •• للجرأة حدود •

— ولكن سمعة الهانم وعراقة أصلها أخرست الألسنة  
الهامسة •

- فلم يكن هناك ما يدعو الى الحديث عنها •
- ألم تطلب منى أن أنقل كل شيء اليك ؟
- عليك أن تختار ما تنقله •
- فعلا على أن أختار ما أنقله •
- أهذا أنا الذى يتحدث •• لقد قلت لها اننى أخاف على  
نفسى ، وقد كنت محقا أن أخاف ••



- يظن صالح نفسه صريحا •• أريد أن أراه ••• وبعد هل
- أظلم حبيسة هذا الاتفاق بينى وبين نامق ؟ • والى متى ؟ ••
- كريمة أهلا •• يومان لا أراك •
- منيرة كانت متعبة •
- بعد الشر ، مالها ؟
- أمراض الأطفال لا تنتهى •
- نادر الحمد لله •
- عينى عليه باردة •
- ماذا يقول الناس ؟
- وماذا يمكن أن يقولوا بعد فتاوى المشايخ والأطباء ؟
- هذا الموضوع انتهى اذن •

- وظهر موضوع آخر •
- خير ؟
- تزارين ولا تزورين •
- وماذا فى هذا ؟
- بعضهم يقول تكبر •
- والآخرون ؟
- يقولون أوامر •
- وما رأيك ؟
- فليقولوا ما يشاءون •
- أتركهم يقولون •
- وأنت ما يهمك ؟
- الحقيقة يهمنى •
- كلامهم ؟
- لا ، ولكن هذا الحبس •
- أتسمينه حبسا ؟
- فماذا تسمينه أنت ؟
- انه يسمح لك بالخروج •
- بعلمه •
- كل الرجال كذلك •
- انه يسافر كثيرا •• الآن مثلا هو مسافر منذ أسبوع
- ولن يعود الا بعد أسبوع ، وأضطر أنا أن أنتظر مجيئه ،

والاذن بالخروج لا أحصل عليه الا بعد تقديم الأسباب  
والحيثيات •

— تتكلمين مثل فتوح •

— كيف هو ؟

— بخير • • لقد أوصانى أن أطلب منك شيئاً •

— خير ؟

— وظيفة وكيل مديرية الشرقية خالية •

— ويريد أن يكون وكيل المديرية ؟

— اذا أوصى به الباشا يكون •

— وتذهبين معه ؟

— انه مستقبلة •

— أليست هناك مديرية قريبة ؟

— الجيزة •

— وتبقين بالقاهرة ؟

— أبقى طبعاً •

— فلماذا لا يكون وكيل مديرية الجيزة ؟

— ليست خالية •

— ينقل وكيل مديرية الجيزة الى الشرقية •

— يا حبيبتي يا نازك •

— اياك أن تفكرى فى تركى •

— وهل أستطيع العيش بعيدة عنك ؟

- غبت عنى يومين •
- وسأغيب باكرا أيضا •
- لماذا ؟
- عندى ناس •
- ناس .. من هم ؟
- أخاف أن أذكرهم تزعلى •
- فلماذا دعوتهم ؟
- فتوح .. أنت تعرفين أنه صديق يسرى مختار زوج نديرة •
- أنا لا أكره نديرة •
- كذا ؟
- أندا .. ولماذا أكرهها ؟
- نديرة با ستى وزوجها وأختها خديجة وصالح عبد الحال •
- صالح عبد الحال ؟
- نعم ما الغرابة ؟ أنه صديقهم جميعا •
- كريمة .. اسمعى •
- ماذا ؟
- ما رأيك لو .. ؟
- أياك •

— لا شأن لك •

— اياك •• أنا لا شأن لى ؟

— لا شأن لك •



اذن فهو مهتم ببخديجة •• منذ دخلنا لا يكلم الا خديجة ••  
طبعا قدم لى كل ما يستطيع من احترام واجلال ولكنه لم  
يحاول أن يتقرب منى أو يتحدث الى •• لقد لمحت فى عينيه  
ومضة خوف •• لا شك أنه يعرف أنني هنا بطريقة غير رسمية  
•• هذا الغبى •• أظن أن هذه الزيارة ستخفى عن نامق ؟ ••  
فماذا يفعل لالا أَلظ أو ماذا يفعل لالا بشير ؟ •• انه سيعرف  
•• ولماذا لا يعرف ؟ •• كان لابد لى أن أحطم هذا السجن  
وانه من المستحيل أن يتحطم ان لم أقم بخطوة  
جريئة كهذه التى أقوم بها الآن •• ولكن أين هذا السحر  
الذى كنت أشيعه حين أدخل الى الحفلات ؟ •• لقد أصبح  
نوعا جديدا من الأجواء ، وهو جميل أيضا •• فيه احترام  
كبير واجلال •• أهو لى أم هو لزوجى ؟ •• التساؤل لا يحتاج  
الى اجابة • ولكن ما البأس ؟ ما الفرق بينى وبين زوجى ؟ ••  
ماذا سيفعل حين يعرف ؟



- ما رأيك فى اداره الوقف يا يسرى ؟
- أعتقد أن نامق باشا موفق •
- موفق ؟ ! اذن أنت لا تعرف شيئا •
- كيف ؟
- ان المستحقين يكادون يدوتون من الغيظ •
- ألا ينالون حقوقهم ؟
- لابد أن يعرفوا حقوقهم أولا حتى يعرفوا ان كانوا
- ميناولونها أم لا •
- لاحظ الهانم يا يسرى •
- ألا ترانى أهمس ؟



- اننى سعيدة لأنى رأيتك يا نديرة •
- اننى أبا السعيدة يا نازك هانم ... فأنا أسمع عنك كثيرا •
- لا تصدقنى كل ما تسمعيه •
- اننى أصدق المتحدث المحايد •
- هل أنت متأكدة من حياده ؟
- الحديث دائما ينبىء عن حياد المتحدث أو تحيزه •
- ولعل هذا المتحدث لا يذكرنى بشر ؟
- ان هذه الأحاديث هى التى جعلتنى سعيدة بإقائك •



— أرجو أن أكون عند حسن ظنك •  
— ان الطريقة التي قابلتني بها وحدها تكفي لتدل على  
ذكائك وسعة أفقك •

— وأنت هل أنت سعيدة مع يسرى ؟  
— أبهك حقا أن تعرفي ؟  
— اننى أعتبرك مثل نادر ابني •  
— فارق السن بيننا لا يسمح بهذا •  
— أشكر لك هذه المجاملة •• ولكنى زوجة أبيك •• فأنت  
عندى مثل نادر •

— اننى أحب أن أكون كذلك •  
— لقد هربت من الاجابة •  
— بل نسيت السؤال •  
— أعتقد أنك تذكرت السؤال ••  
— أنت مصممة على معرفته ؟  
— أصبحت الآن غير مصممة •  
— عرفت الاجابة اذن ؟  
— لو كنت سعيدة السعادة التي أتمناها ما تهربت •

\*\*\*

— ألم أقل لك اننى أخشى على نفسى ؟  
— هل تحققت خشيتك ؟  
— بدأت تتحقق •

- لا بد أن تتماسك •
- أنكسر •
- وان لم تتماسك تتكسر أيضا •
- ولكنى سأظل أحيا •
- الكل يحيا •
- أنت لا تدريين •
- مهما تكن حياتك الآن باهرة في عينيك فهي لا تساوى  
أن تتكسر •
- ان بعدى عن هذه الحياة تحطيم •
- يخيل اليك •
- بل يخيل اليك أنت لأنك لا تعرفين •
- أرجو أن تظل كما أنت •
- ما رأيك لو تقدمت لخطبتك •



- وعندما عاد نامق من سفره :
- نازك هانم أنت ممنوعة من الخروج تماما •
  - سجن هو ؟
  - لا مناقشة • ربي ابنك ولا خروج •
  - وطننت في أذننا ربي ابنك ••• آذن فهذا هو ما تريد •••
  - آذن سأربيه •••

## - ١١ -

لم تعد تستطيع ألا تخرج ، بل أصبحت اقامتها في البيت إقامة دائمة لا يقطعها شيء إلا الملالة .. أما هو فقد أصدر أمره واعتبره شيئاً طبيعياً لا يحتاج الى مناقضته ، وظلت معاملته لها بعد ذلك كما هي لا تغير فيها . فان حاولت يوماً أن تتناقش هذا الأمر قطع الحديث في حسم :

— لا مناقشة في هذا .

تم يعود الى ما كان فيه من حديث . وتزداد هي غيظاً وتوشك أن تتفجر ، ولكنه هو يتظاهر بأنه لا يلاحظ من شأنها شأننا ويتحدث .. يتحدث في كل شيء إلا هذا الذي تريد هي أن تتحدث فيه لتفك الأمر الذي ألقى عليها . وقد حاولت بثتى طرق .. حاولت بكل ما وهبته من ذكاء الأننى وجمالها ودلالها ، ولكنه كان صارماً في أمره لا يقبل عنه حولا أو منصرفا .

وفي هذه المحاولات منها مرت سنوات ثلاث فلم تجد السنون ولا الحيلة . وانما نتج عن هذه السنين وعن هذه الحيلة شيء آخر هو نادرة .. حملت في هذه المرة حملاً شرعياً لا شك في شرعيته من الناحية الفقهية للشرع ، ولكنه حمل

غير مشروع لأنها كانت قد كرهت نامقا كرها استقر. في أعماق  
نفسها •

فهي ان تكن قد وهبت له نفسها في نادر هبة المحبة  
أو هبة المعجبة أو هبة المستهتره ، فانها وهبته نفسها في  
نادرة هبة الزوجة التي لا تملك الا أن تهب نفسها وهي كارهة  
•• وكانت على هذا الكره تنتهز فرصة ميله لها فتلاطف  
وتتخاضع وتبدي له كل ما تستطيع امرأة فارهة الجمال متفجرة  
الأنوثة أن تبدي ، فكان يتقبل منها ما تبديه وكأنه حق طبيعي  
لا يستحق معه أن يفكر في مشاعر هذه المرأة التي ارتبط  
مصيره بها ، فقد كان زواجه منها في أول أمره زواجا خائفا  
تغشيه الشكوك بل يحيط به الهلع ، فحين حطمت أوامره ألا  
تخرج إلا باذن منه وجد نفسه مضطرا أن يمنعها من الخروج  
منعا مطلقا ولا يعبا بما قد يقوله الناس • فلئن يقال عنه قاس  
لا يعرف الرحمة خير من أن يقال عنه مغفل لا يدري ما يجري  
وراء ظهره • كان لكل من نامق ونازك منطقه • وهما منطقان  
من شأنهما أن يتصادما ولا سبيل لهما أن يساير أحدهما  
الآخر •

كرهته ولم تستطع أن تظهر هذا الكره ، وقد كان هو في  
هوة مركزه لا يتصور أن امرأته تكرهه •  
وكان لابد لهذا الكره أن يتفجر في مكان ما •• وقد  
تفجر •

عكفت على نادر تحيطه بكل نفسها فما كان لها الا نادر ،  
وقد أرادت عن عمد أن يحس أن الحياة كلها هي أمه ولا حياة  
له الا هي . . عن عمد أحاطت به لتفصله عن أبيه ، وعن فراغ  
أحاطت به لأنها أصبحت ولا شاغل لها الا هو ، حتى أخته لم  
تتل من رعايتها الا أهون نصيب ، فان نادرة لن تصبح ناظرة  
للوقف ، ونادر سيصبح ناظرا للوقف ، فنادر هو كل شيء في  
حياتها . . أو هو حياتها وهو مستقبلها .

تمر سنتان مثلما مرت السنوات الثلاث . ويصبح نادر  
في السن التي لا بد معها أن يبدأ تعليمه .  
ويصدر نامق أمره الى صالح أن يتولى الاشراف على  
تعليم نادر .

وتحس نازك أن شخصا آخر سيشاركها في نادر ولكنها  
لا تستطيع أن تصنع شيئا ، الا أنها عازمت في دخيلة نفسها  
أن تلقى هذا الانسان الذي سيشاركها ابنها مهما يكن الثمن  
. . ولماذا يكون هناك ثمن ؟ . . انها ستدبر الأمر . . انها  
فرصة رائعة للاقاء . . وستلقاه .



كان ضمن موظفي الوقف رئيس حسابات كان يعمل مدرسا  
للحساب بمدارس القرير ثم أحيل الى المعاش ، وكان صالح  
يثق فيه فعهد اليه أن يكون مدرس الحساب لنادر .

— هل هناك ما يمنع أن أحضر ابني يأخذ معه الدرس  
ويتعرف به ؟  
— اسأل الباشا •



— لقد عهدت للأستاذ ميخائيل أن يدرس الحساب  
لنادر بك •  
— فكرة لا بأس بها ، ولا تبخل عليه في المكافأة •  
— يريد أن يحضر ابنه ليأخذ الدرس مع نادر بك  
ويتعرف به •  
— وما البأس ؟ ان نادرا لا يكاد يعرف الا أقاربه •



ويجتمع شمل نادر ونعيم •  
ويختار ميخائيل باشراف من صالح المدرسين الآخرين •  
وتمضى الدروس فى طريقها • كان نامق يريد لابنه  
أن يكون مثقفا لا متعلما ، فكان كثيرا ما يسأل صالحا عن سير  
الدروس ، وكان من الطبيعى أن يقول المدرسون جميعا ان نادر  
نابغة عصره ، فما كان يمكن لابن ناظر الوقف الا أن يكون  
نابغة عصره •



تطلب نازك تليفون صالح فى القصر ، وما تكاد تقول له  
اسمها حتى يتولاه الهلع :

- لحظة يا هانم من فضلك •
- ويهرع الى الأبواب يسألها ان كانت تنصت ، ويدور بالحجرة يتلمس الجدران ، حتى اذا أصاب بعض الاطمئنان :
- تحت أمرك يا هانم •
- أريد أن أسأل عن سير الدروس مع نادر •
- عظيمة يا أفندم •• عظيمة ، الكراريس دائما عندي وأراجع عليها يوميا •
- أنا لا يكفييني هذا •• أريد أن أرى كراريسه •
- أرسلها يا أفندم •
- بل أريد أن أراك وهى معك لأناقشك فى شأنها •
- يا أفندم •
- هذا خير لك •
- أفندم ؟
- ألم تسمع ؟
- بل سمعت تماما •
- أذن ؟
- أنا تحت أمرك •
- وخل خديجة تترورنى •• انى أحب أن أراها •
- أمرك يا أفندم •
- حين أجد الوقت مناسباً سأطلبك وأحدد مكان الزيارة وموعدها •



- داخل السراى يا أفندم ؟
- أنت تعرف أننى لا أخرج .
- أتقدرين خطورة هذا يا أفندم ؟
- مستقبل ابنى أهم من أى خطورة .
- أليس هناك طريقة أخرى ؟
- لو كانت هناك ما لجأت الى هذه .
- أمرك يا أفندم .

لقد أوحى لها نامق دون أن يدرى بشخص تستطيع أن تلتقاه غير هذه الوجوه التى تعودت أن تزورها ، والتى سئمتها ولم تعد تطيق أن تنتظر اليها . . . وقد هيأت الحجة أمام صالح ولا يهمها ان كان سيصدق هذه الحجة فى نفسه أم سيرفضها . . لقد أحست أنها ان لم تتصل بغير هؤلاء اللواتى فرضن عليها ستجن ، ولم تكن تحب أن تجب .



- فى كل يوم تقول هذا .
- فى كل يوم أتحول من الشخص الذى تمنيت أن أكونه الى شخص آخر كنت دائما أخشى أن أكونه .
- لماذا لا تقدم استقالتك ؟
- ارتبط اسمى بالوقف .
- تستطيع أن تعمل فى أى مكان آخر .

- نامق لن يسمح لى أن أعمل ونفوذ ضخم •
- لن تموت من الجوع •
- لم أستطع أن أفعل هذا وأنا شاب فى أول الطريق •
- كيف أستطيع الآن أن أفعله بعد أصبحت فى هذه المكانة من الموقف ؟
- لعل هذه المكانة تهىء لك مكانا تجد نفسك فيه مرتاح الضمير •
- بل ان هذه المكانة ستقفل الأبواب فى وجهى •
- لن تموت من الجوع •
- وأولادى ؟ •• ما مصير عزة وأيمن ؟ •
- لن تموت من الجوع •
- أخاف من الخوف ••• القلق على مصيرنا يرعبنى •
- اذن لا تشك •
- اسمح لى أن أشكو على الأقل •
- ان نفسى تتقطع من شكاواك •
- وأنا نفسى تتمزق مما أصنعه •
- النفاق •
- النفاق أصبح طبيعة الآن •
- أهنأك ما هو أدهى ؟
- لماذا لا تزورين نازك هانم •
- تشكو ولا تقصيح •

— خديجة ، اننى أشكو اليك لأننى لا أستطيع أن أشكو  
الا اليك .. أما أن أفصح فهذا لا يهم ... لا يهمك مطلقا أن  
تعرفى التفاصيل ..

أتعرفين صورة دوريان جرای .. اننى أراها أمامى  
دائما • أرى نفسى دائما تزداد قبحا وقتامة .. أصبحت  
نفسى كريهة أمام نفسى ، وأجد نفسى أنزلق ، وأعرف أننى  
أستطيع أن أتوقف ولكنى أسير وأنزلق • وأعرف أننا لن نموت  
من الجوع ولكننى لا أمالك الشجاعة .. الشئ الوحيد الذى  
أستطيعه هو أن أشكو اليك •

— هذه الشكوى المبهمة المليئة بالأحاجى والغموض •

— لعلنى أرتاح •

— وهل أنت مرتاح الآن ؟

— لماذا لا تزورين نازك هانم •

وزارت خديجة نازك وصحبت معها طفليها ، ولعب الطفلان مع نادرة • واستأذنت خديجة أن تصحب الأطفال وتخرج بهم فسمحت نازك بذلك ، وخرج الأطفال جميعا صحبة ومعهم نعيم الذى أصبح ملازما لنادر •  
وجالت خديجة بصحبته فى مجالى القاهرة ، ثم ذهبت بهم جميعا الى بيت أمها •

وفرحت الهام بهذه الزيارة غير المتوقعة فرحا أخذ عليها مجامع نفسها ، فقد كانت تريد أن تتوصل بأى طريقة تصلها ببيت نامق ، ولم تكن دعوتها لصالح وقبولها أن يتزوج خديجة الا وسيلة ترجوها ليتم هذا الاتصال •

كانت تريد نادرا بالذات أن يحبها • • كانت تريده لأنه الشخص الوحيد الذى يمكن أن يتصل بها بلا حرج • فأخته نديرة صلة لا بأس بها ، وهو لا يعنيه فى شئ أن الهام كانت زوجة أبيه ، بل هو حتى لا يفهم هذه الصلات ولا يهتم بها •

سارعت الهام الى سائق سيارتها وأمرته أن يسارع فيشترى بندقية رش ، ووعدته بمكافأة أن هو لم يتأخر •

وسرعان ما عاد المسائق ، وأهدت الهام البندقية لنادر •  
— كلما جئتني ستجد هدية •  
وأوشك نادر أن يجن من الفرح •  
لقد استطاعت هذه الزيارة أن تمكن من حب نادر لالهام ،  
فصار يطالب أمه بعدها أن يزورها • ولم تكن تمنع في ذلك  
فهي تستدعي خديجة وتعهد اليها بنادر ونادره • ولا تنسى  
نعيمًا ، ويذهبون جميعًا إلى بيت الهام • وفي كل مرة كان  
نادر يفوز بهدية ، وفي كل مرة يمرح الأطفال مرحة لا رقابة  
عليه ، نادر مع نعيم ، ونعيم يحاول أن يداعب نادره ، أما  
طفلا خديجة عزة وأيمن فهما وحدهما اللذان لا يشعران بشيء •  
فقد كانا أصغر من أن يفرحا أو يتمتعا •



— تحت أمرك يا هانم •  
— في الساعة الثالثة اليوم •  
— أنا يا أفندم أنصرف في الساعة الثانية •  
— لا تخف ، لقد أخذت خديجة الأولاد وستتغدى عند  
أمها •  
— أعرف ذلك يا أفندم •  
— أذن ؟  
— ماذا يقول موظفو الوقف ؟

- انصرف في موعدك وعد الى الحرملك •
- والسائق يا أفندم •
- اذن تنساغل بالعمل حتى الثالثة واصعد الى الحرملك •
- ألا يرانى الخدم ؟
- انك ستذهب الى الجناح الصيئى •
- أمرك •
- وهات الكراريس •
- أمرك •

هل تريد الكراريس حقيقة ؟ .. أهذا موعد يوحى  
بكراريس ؟ أنا من جهتى لا أمانع ولكن .. أى لكن ؟ • هل  
أملك شيئاً فى نفسى ؟ .. حتى هذا لا أملك فيه شيئاً .. لقد  
بعثت نفسى جميعاً لهذا المكان .. اعطنى يوسف وهى امرأة  
العزيز ... ولكنى لست نبيا .. وهى أيضا لا تدعونى لجمال  
فى خارق .. حبيسة ولا تملك فى يدها الا أنا • لن أستطيع أن  
أصنع ما صنعه يوسف .. انه بما فعل أصبح نبيا وأنا لا أنوى  
أن أكون نبيا .. انها فتنة طاغية .. ولكن كيف أملك الجراءة  
.. انها تصغر الباشا بسنوات وسنوات • أنا أقاربها فى  
السن .. ولكن كيف أملك الجراءة ؟ انها هى التى ستذهب لى  
الجرأة .. بشبابها وشبابى .. أيسطيع شبابى أن يتغلب على  
هذه الرهبة ؟ .. انها زوجة الباشا .. أخونه ؟ .. إذا كانت  
هى تخونه ألا أخونه أنا ؟ وهل لى خيار ؟ • أما أن أخونه أو لا

أكون .. وهل لى الحيار ؟ .. وزوجتى ؟ .. أخونها .. اننى  
بأخونها . اذا لم أخنها ... ان مصيرى ومصيرها ومصير  
أولادنا الطريق العام اذا أنا لم أخنها . هل أستطيع أن أتوقف ؟  
هل أريد أن أتوقف .. هل أملك الجرأة على التوقف ؟ .. وان  
ماكتها هل أتوقف ؟ .. يبدو أبنى أصبحت أستطيع ما أصنع  
.. على أى حال لولا خطورة ما أنا مقدم عليه لكان أمرا  
لا بأس به فى حد ذاته ... ماذا يقول أبى ان عرف ؟ ..  
بل ماذا يقول اذا عرف كل ما أقوم به من غير ذلك ؟ ..  
لماذا يعرف الحقيقة ؟ بحسبه أنه سعيد بمنصبى . ان  
الحقيقة التى يعرفها الانسان هى الحقيقة الوحيدة ، وليس  
هناك بالنسبة اليه حقيقة أخرى . والحقيقة التى يعرفها أبى  
أننى رجل محترم صاحب حظوة عظيمة لدى نامق باشا ، وهذه  
الحقيقة كخيلة بأن تجعله سعيدا ، وأنه لسعيد . كل الحقائق  
الأخرى لا تهمه فهو لا يعرفها ، وان حاول أحد أن يطلعه  
عليها يكون مجرما يريد أن يحرمه السعادة التى يعيش فيها .



وبعد أن ترك نازك راح ينزل السلم فى خطوات حاملة  
وابتسامة مهمومة تترقرق على شفثيه . وفجأة انتبه الى  
الكراريس فى يده وأصبحت الابتسامة ساخرة وهو يتمتم فى  
صوت يوشك أن يكون مسموعا :  
— أظن لا داعى للكراريس بعد ذلك .



## — ١٣ —

- أنا فى الواقع لا أستحق فى الوقف •
- ولكن زوجتك تستحق •
- هذه مسألة جانبية •
- أنا لا أراها جانبية بالنسبة اليك •
- المهم أنت •
- أنا ؟
- أنت شوكت فهمى بك •
- ما لى ؟
- أنت لا تتال حقتك •
- كيف عرفت ؟
- ألا تتال ضعفى ما تتاله أختك المهم هانم ؟
- نعم •
- المهم هانم حماتى •
- أعرف ذلك •

- وأنا أعرف ما تتاله •
- ولكن كيف عرفت أنه أقل من حقنا ؟
- هذا شأنى •
- انك لم تستدعنى اليوم لتقول لى هذا شأنى •
- الطريقة التى عرفت بها لا تهملك •
- بل لابد أن أكون واثقا •
- كن واثقا •
- كن واثقا •
- كيف عرفت ؟
- ان لى عيوننا فى الموقف •
- من هم ؟
- لقد أقسمت ألا أبوح بأسمائهم •
- حسنا • • ولكن النصيب الذى نحصل عليه الآن هو
- كما كنا نحصل عليه دائما •
- وهذا وحده دليل كاف •
- كيف ؟
- هل ثمن المحاصيل هو هو لم يتغير ؟
- آه • • فعلا •
- لابد أن تتالوا حقوقكم •
- نرفع دعوى •
- لا تنس أن له الحقوق العشرة •

- فعلا من ضمنها الاخراج والادخال •
- يخرج سعادتك ويدخل نازك هانم •
- يعملها •
- فماذا ترانا نفعل ؟
- لابد أن نفعل شيئا ان لم يكن من أجل فمنا أجل
- ابنى حسام •
- نقتله ؟
- المسألة ليست بهذه السهولة •
- كيف ؟
- نادر بصبح ناظر الوقف •
- نادر ما زال صغيرا •
- سنة والأخرى وتصدر فتوى أنه ما دام يستطيع أن
- يدير أمواله فهو يستطيع أن يدير الوقف •
- فى هذه السنة نستطيع نحن أن ندبر أمورنا •
- ولكن فكرة القتل نفسها خطيرة •
- لى أصدقاء كانوا يعملون بالحرس واصابتهم
- لا تخيب •
- أتعرف أحدا من هؤلاء ؟ •
- أعرف الكثيرين منهم •
- اذن فعلىنا أن ننتظر قليلا •
- ننتظر ؟

- طبعا ...
- أنت الذى تقول ننتظر ؟
- وما الغرابة فى هذا ؟
- أنا أعرف حاجتك للنقود دائما \*
- مطالب الحياة كثيرة \*
- مطالب الحياة أم مطالب سميحة ؟
- هس \*
- مم تخاف ؟ .. لقد كنا نتكلم فى جريمة قتل ولم يتوكل الذعر الذى تولاك من ذكر اسم ...
- هس \*
- هس .. هس \*
- أنسيت أين نحن ؟
- فى بيت بنت أختي \*
- زوجتي \*
- أتخشى أن تسمعنى وأنا أذكر .. هس .. ولا تخشى أن تسمعنا ونحن نتآمر على قتل أبيها ؟
- قد تغتفر قتل أبيها ولكن لا تغتفر ..
- هس ؟ !
- طبعا \*
- ألا تعرف ؟
- تحس \*

- حسنا ، وماذا تريدنا أن ننتظر ؟
- ننتظر حتى تخاف عداوة بين نامق باشا وشخص آخر
- فلا تلحق التهمة بنا •
- وصمت شوكت وحملق •
- لم أكن أتصور أنك خطير الى هذا المدي •
- المسألة لا تستحق هذه المبالغة •
- وكيف ستخلق هذه الخصومة ؟
- هذا شأنى •
- مع موظفى الوقف ؟
- مثلا •
- صالح •
- غير صالح بآارة •
- نعم صالح مرتبط بالباشا •
- جدا •
- مع ميخائيل ؟
- انه أخاف من خياله •
- اذن فمع من ؟
- هذا شأنى •

- هديتك اليوم ستصعها فى أصغر جيب نك •
- صحبح .. ما هى ؟
- خذ •
- مفتاح .. أين صندوقه ؟
- انه صندوق كبير لا أستطيع ادخاله الى البيت •
- حقا ؟
- تعال •
- وسحبت يده الى الشباك ، وفغر فاه غير مصدق •
- هذه السيارة ؟
- هذه السيارة •
- لى أنا ؟
- انزل ولف بها لفة وعد ليقول لى رأيك فيها •
- وانتهب السلام انتهابا ، وأمسكت الهام بسماعة التليفون وأدارت رقما :
- سميحة أنا الهام • ما هذا ؟ لى زمان لم أرك • أين أنت غدا ؟ .. لا بأس .. نتغدى معا •

كانت الاشاعات قد بلغت آذانها عن صلتها بزواج ابنتها ولكنها لم تهتم بهذا ، ووطدت علاقتها بها منذ جاءت اليها فى الزياره الأولى . ولم تؤثر هذه الاشاعات على هذه العلاقة فسميحه تستطيع أن تجتذب انتباه سيده فى ذكاء الهام ... والاهم كانت تحس بدافع خفى لا تدري مأتاه أنها ستتفجع يوما بسميحه ... واليوم يتحقق حدسها . ويعود نادر ويقبل الهاما .

— ان أبى لم يفكر أن يقدم لى مثل هذه الهدية .

— لعله يخشى عليك .

— وأنت لا تخشين على ؟

— ولهذا لن أجعلك تخرج بها وحدك .

— ماذا ؟

— ستتركها هنا اليوم وتأتى بعد غد لأكون قد وجدت من

ميشارك ركوبها .

— لا أريد سائقا .

— لو كنت أنوى أن أحضر لك سائقا ما أحضرت لك

سيارة .

— برافو عليك .

— ان السيارة التى تسير بسائق موجوده عندك دائما .

— لا شىء يخفى عليك أبدا .



— وبعد غد ستعرف الى أى حد أستطيع أن أعرف  
الأشياء .



وحين جاءت سميحة للغداء استطاعت الهام أن ترتب معها  
كل نىء .



وحين جاء نادر فى مواعده قدمت اليه الهام الشخص الذى  
سيشاركه ركوب السيارة :  
— الأنسة منال .

غضة كالعصن الرطيب فى عينها جذوة وخبرة : وفى  
شفتيها دعوة وابتسامة .

ولم تنس الهام أن تقول :  
— وهذا مفتاح بيت استأجرته لكما اذا تعبتما من اللف  
بالسيارة ، تستطيعان دائما أن تستريحا فيه .



— ان أملك تلعب لعبة خطيرة .

— أعرف .

— أترضين عن هذا ؟

— انها أسمى .

- فان لم تكن أمك ؟
- فهي امرأة تنتقم •
- في شخص الابن ؟
- الانتقام لا يعرف أين يقع •
- انه الشخص الذى سيصبح ناظر الوقف بعد أبيه •
- ولكنه سيظل ابن أبيه الى أن يصبح ناظرا للوقف •
- قد يدمر هذا الوقف جميعه •
- ولكنه سيظل محبا لأمى •
- كانت تستطيع أن تجعل الأمر أكثر طبيعية •
- دعوة وحفلة وتعرفه ويختار •
- مثلا •
- لفة طويلة •
- خير من اللفة القصيرة •
- ترين هذا ؟
- لعلمها خشيت أن يمنعه أبوه من حضور حفلاتها •
- والآن ؟
- الأب لا يعرف على الأقل •
- ولكنى أنا أعرف •
- هل صحا ضميرك الآن ؟
- انه لم يمت تماما •
- ولكنه يستطيع أن ينام حين يريد •

— لعله الآن لا يريد أن ينام •  
— بل انك تشعر أنك لم تقدم نصيحة للباشا من زمن بعيد •

— ربما •  
— ويريد أن توهم نفسك أنك تؤدي واجبك •  
— ربما أيضا •  
— على حساب أمي •  
— انها هي التي وضعت نفسها في هذا المكان •  
— تستطيع أن تفعل شيئا أحسن من هذا •  
— اقترحي •  
— قدم النصيحة ولا تذكر اسم أمي •  
— نصيحة لا بأس بها •  
— أليس كذلك ؟



— وماذا ترى ؟  
— الرأي دائما لسعادتك •  
— المسألة خطيرة •  
— ليست كما تتصور ، انه الشباب يأخذ مجراه •  
— أنا عندي الحل •  
— هكذا سريعا ؟

— لقد كنت أفكر منذ زمن بعيد أن أرسله الى الخارج ليتعلم •

— فكرة لا بأس بها •

— أعجل بها •

— ولكن السفر للخارج لا يمنعه أن يسير في نفس الطريق !•

— هذا اذا كان وحده •

— ومن سيكون معه ؟

— أنت •

— أنا !

— أنت •

— وأولادى وزوجتى ؟

— فى رعايتى •

— وهل توافق الهانم على سفره ؟

— اننى آمر ولا يعنينى موافقة أحد •

— أفكر •

— بل تسافر •

— وأطرق صالح ، ولم يكن محتاجا أن يقول ولم يكن نامق ينتظر منه قولا •• ولكنه مع ذلك أحب أن يسفح أمره :

— أنت تعرف ثقتى فيك •

— أنا تحت أمرك •

— وأنت تعرف أن صحتى ساءت فى هذه الأيام الأخيرة •  
— ليس الى الدرجة التى تتصورها سعادتك •  
— أنا لست جاهلا ، وأعرف تماما الأمراض التى أتعرض  
لها •

— بل أعتقد أن سعادتك تتخوف أكثر من اللازم •  
— المهم أننى أعهد لك بنادر •• فى الخارج وفى الداخل  
إذا حصل شئ •

— ربنا ، طيل عمر سعادتك •

— لم أعد صغيرا •

— ربنا بطيل عمر سعادتك •

— أنا أعرف مشاعرك جيدا •

— أرجو ذلك •

— نادر أمانه فى عنقك •

— ما أثقل الأمانة •• هل أعرف كيف أرعى الأمانة •• اننى  
أخون هذا الرجل •• ليس أنا الذى أخونه •• انها زوجته  
تخونه معى ولبس أنا الذى يخونه •



— أريد أن ألقاك فى الحال •

وراحت نخلع ملابسها فى عنف حتى لتوشك أن تمزقها ••

وتروح وتجيء فى الحجرة كنمرة لا يستقر لها قرار من  
حبس تعانيه :

— نادر وانت مرة واحدة ؟

— اهدئى .

— كيف ؟

— لابد أن تهدئى .

— اخلع ملابسك .

— فقط اهدئى .

— أريد أن أتشفى فيه . . أريد أن أنتقم منه .

— لقد كنت تنتقمين منه قبل أن يأمر بسفرنا .

— اليوم الأسباب أقوى ، اخلع ملابسك .



— ماذا سأفعل ؟

— نادر لابد أن يتعلم .

— أنه يريد أن يحرمنى منه .

— نادر كان مرتبطا بك أكثر مما يجب .

— أننى أمه .

— ولكنك نسيت أن له أبا .

— ان أباه نسى أننى انسانية .

— ألم تكن له أسباب ؟



اخلع ملايسك .. اريد ان اتشفى فيه .. اريد ان انتقم منه

- ليس هناك سبب يحرم انسانية من حريتها •
- ومع ذلك استطعت أن تمارسى حريتك •
- لقد أرغمني على ذلك •
- ترى ••
- أكمل •
- لا داعى •
- اننى أعرف بقية الجملة •
- فلماذا تريدني أن أكملها ؟
- لأتأكد •
- قولها اذن •
- تريد أن تسأل لو كنت حرة هل أختارك أم لا ؟
- هذا هو السؤال • فما الاجابة ؟
- لا أعرف •
- أشكر •
- أعجبتك الاجابة •
- لأنها صادقة •
- والآن ماذا أفعل ؟
- أنتظري •
- سنوات •
- لا حيلة لنا الا الانتظار •
- خديجة •



- ما لها ؟
- ستسافر معك •
- لا أظن •
- هو الذى أمر بهذا •
- والأولاد صغار •
- بل هو يريدك أن تتفرغ لنادر •
- ربما •
- أتعرف نادر ؟
- لبس الى الدرجة التى كنت أرجوها •
- هو فى هذه الأيام لا يترك الهام •
- يجد عندها ما يسره •
- وأنا لا أمنعه •
- لأنك تربدين منه أن يحبك ولا يجب أخذا مثلك •
- ذكاؤك فوق مستوى الشبهات •
- هل ينفع مع نادر ؟
- اكتب لى •
- لا أستطيع •
- اكتب 'كريمة عن أخبارك وهى ستطلعنى على الخطابات •

\* \* \*

حين وصلت كريمة مع ابنتها منيرة الى القصر سعدتا الى  
الحريم ، ولكن نادر لقيهما فى الطريق فقد كان يأخذ سمته  
الى الباب الخارجى • حلوة هذه الفتاة • لا عيب بها الا أنها  
لا تترك أمها أبداً • أخاف أن أحادثها فتطلق أمها عنى الأقاويل •  
وأنا لا أريد هذه الأقاويل أن تتطلق •

— أمسكت كريمة بذراع ابنتها وأوشكت أن تقرصها :  
— سلمى وابقتسى •

— يا لأحلامك يا أمى •• انه طائر لا يهدأ له جناح ••  
طائر لا يستقر به حال •• انه لا يرانى •• لا يعرفنى ••  
•• لا ينظر الى •• لو نظر لرأى فى عينى الاعجاب به وأكد  
أقول الحب له •• ولكن أى شأن له بى ؟ •• اننى لا أمثل فى  
خاطره أى فكرة • ان عينيه تعبرانئى كأنما لا يرانى •

— أهلا تتت كريمة •• أهلا منيرة •• من زمان لم أركما •  
— أنت مشغول الآن يا نادر •

— عنك أنت يا تتت كريمة لا أقدر أن أنشغل •  
— فاسأل عنا يا أخى •

— اسمعى ، أنا مسافر لفندن وليس من المعقول أن أسافر  
قبل أن أشوفك أنت ومنيرة •

— عظيم ••• العشاء عندنا بعد باكر •

— عظيم : ومن المدعوون ؟

— عليك أنت أن تختار •

— أولا تننت الهام •

— أمرك •

— وطبعا اخوتى •

— طبعا •

— ونعيبم ؟

— ونعيم •

— وطبعا منيرة •

وتبالغ كريمة فى الضحك ، وتضحك منيرة فى سعادة •

— وبعد ذلك اختارى أنت من تشائين •

— أفكرك أم لست فى حاجة الى التفكير ؟

— لا يمكن أن أنسى •

ويتجه نادر الى السلم ، ويتجه كريمة ومنيرة الى جناح

مازك • وحين استقر بها المقام فى الغرفة الملحقة لغرفة النوم :

— أين الهام يا لالا ألاحظ ؟

— لا أدرى •

— لا تدري ؟

— والله أنا لا أدرى ولا أحد بدري •

— هل حننت ؟

— وماله ؟ لقد بلغت السن التى يجب فيها أن أجن •

— يا رجل اعقل وقل لنا أين الهانم •

- أصبحت لها عادة غريبة •
- عارفها •
- عارفها ؟
- لقد قلتها لنا عشرين مرة فى السنوات الأخيرة •
- اذن غانت عارفها ؟
- تحب أن تنام أحيانا فى الجناح الشتوى والوقت صيف ،
- أنت عارفها •• أترين هذا الهواء الذى يزد الروح ؟
- الجناح الشتوى الآن فرن ولكنها تذهب الى هناك فجأة
- ولا نعرف متى تذهب ، ولكننا نحس بها فقط وهى عائدة •
- أليست حرة ؟
- وهل قلت شيئا ؟
- أنت دائما تتعجب •
- كان لالا بشير الله يرحمه يتعجب معى أيضا •
- كم عمره حين مات ؟
- لا أعرف •• انما هو أصغر منى •
- وأنت كم عمرك ؟
- لا أعرف •• ولكنه قبل أن يموت كان يقول لى ان
- عندى أكثر من ثمانين سنة •
- اقتربنا من الوصول • متى مات ؟
- كان يلاعب نادر بك بالعجلة ويقلب له عينيه ، ونادر
- بك يضحك ولالا بشير فرحان الدنيا لا تسعه • ثم نادى

الأستاذ ميخائيل نادر بك للدرس وصعد لالا بشير الى حجرته  
ولم يغادرها بعد ذلك •

— يعنى من حوالى اثنتى عشرة سنة •  
— مثلا ؟

— لالا ألاحظ أنت تقترب من المائة •  
— وماله ؟ ••

— أخيرا نازك هانم •

— أهلا كريمة ، أهلا منيرة •

— أهلا بك يا تت •

— ماذا لك ؟

— ألا تعرفين ؟

— كلها سنة أو سنتان ويعود •

— أنت لا تعرفين معنى سفره بالنسبة الى •

— بل أعرفه تماما •

— لا أحد يعرف •

— حتى ولا أنا ؟

— ولا أنت •

— لقد دعونا على العشاء •

وصمتت نازك فترة ثم قالت فجأة :

— عند عودته •

وصمتت مرة أخرى ثم عادت تقول :

— لابد أن يفعل ما أريد •  
وفهمت كريمة ولكنها أرادت أن تبدو وكأنها لم تفهم :  
— وما الذى تريدينه ؟  
— الذى تريدينه •  
— وهل أنت متأكدة من قدرتك ؟  
— أنت تعرفين أننى متأكدة •  
ونظرت كلتاهما الى منيرة •• يخيل الى أننى أعرف ماذا  
تريد هاتان السيدتان •• ولعنى أيضا أريد ، ولكن ليس هكذا  
يتم ما أريد •• حذار أن تفكرا فى أمرى كأننى غير موجودة ••  
اننى موجودة ولا أحب أن ينكر أحد وجودى •• اننى موجودة  
دائما •



— لماذا لم ألحظ منيرة الا اليوم ؟ •• قبل سفرى بأيام ••  
انها جميلة •• كنت أستطيع أن أخرج معها فى السيارة •••  
خسارة فات الوقت •  
— لماذا ينظر الى هكذا ؟ •• ماذا به ؟ •• أليس أنا منيرة  
التي يعرفها منذ نحن أطفال ••

فى لندن انفرد صالح بنادر ، وبدأ فأدرج اسمه فى مدرسة نظامية ، واتفق مع مدرسين له فى اللغات الأخرى غير الفرنسية ، فقد كانت الأوامر من الباشا تقضى بأن يعود نادر من إنجلترا شخصا مثقفا ،

وبدأت الدراسة ، ووجد نادر نفسه لأول مرة مثله مثل التلاميذ الآخرين ينطبق عليه ما ينطبق عليهم من أوامر ، وضاق بهذه الحياة الجديدة وأراد أن يتمرد ، ولكن وطأة صالح عليه كانت شديدة ، ولولا وجود نعيم معه لأصبحت حياته قتامة لا يمكن احتمالها .

واضطر نادر أن ينتظم فى الدراسة ، وأن يذهب الى المدرسة فى مواعيدها ، وأن يتلقى دروسه فى البيت فى انتظام . وكان صالح قد حدد مواعيد للترويح عن نادر فكان يصحبه هو ونعيم الى مسارح لندن مرتثيا أن فى هذا الترويح نوعا من الثقافة أيضا . ولم يكن نادر غيبيا فقد استطاع أن يستفيد من المدرسة ومن الدروس ، واستطاع أن يتقن الفرنسية التى

كان يعرفها اتقاناً تاماً الى جانب الانجليزية ، كما استطاع  
أن يتكلم الابطالية أيضا •

وكانت خطابات صالح الى الباشا تطمئنه ، وكان الباشا  
سعيداً بهذه الأنباء •

ولم ينس صالح أن يرسل خطابات منتظمة الى كريمة ،  
لتبلغ نازك عن كل صغيرة وكبيرة في حياة نادر وحياته هو  
أيضا •

وكانت الأنباء التي تصله من زوجته تطمئنه أن الباشا  
وفى بوعده ، فهو يرعى أسرته رعاية كاملة ، ولكنه مع ذلك  
مشوق الى زوجته والى هذه الأحاديث التي كانت تجرى بينهما  
والتي كان يجد فيها راحته ، فقد كانت هذه الأحاديث هي  
الأنة الوحيدة التي يستطيع أن يطلقها في غير خوف ولا قلق •  
وكان مشوقاً الى ابنه والى ابنته ، ولم يكن يجد أحداً  
يستطيع أن يقول له انه مشوق الى بيته •

عاد الى أصدقائه القدامى وكان يقضى معهم الأوقات التي  
يقضيها نادر في الدراسة ، ولكن الفراغ مع ذلك كان يحيط  
به من كل جانب •

ومرت الأيام ، وكانت توافيهم الاجازات الدراسية  
فيهيء صالح لثلاثتهم أماكن مختلفة يقضون فيها أيام  
الاجازة •



ولكن نادر كان يحس دائما أنه فى سجن ، وأن القيد  
حوله جميعا •

وأحس نعيم ما يختلج فى نفس نادر :  
— وبعد ؟

— انها أوامر أبى •

— ومن ينفذها ؟

— صالح •

— وهل تعتقد أننى أجهل هذه الاجابة •

— اذن فماذا تريد أن تقول ؟

★ ★ ★

— صالح بك •

— نعم •

— بعد أيام ستكون اجازة رأس السنة • وقد أعددت لك

برنامجا رائعا •

— بل أريد أن أقضيها وحدى •

— وحدك ؟

— أنا ونعيم •

— وأنا ؟

— تستطيع أن تقضيها وحدك أنت أيضا •

— وحدى ؟

- تستمتع بها •
- ومن أدراك أننى لا أستمتع بإجازتى معك ؟
- انك معى تعمل ، وانى أتسفق عليك من العمل الدائم •
- ولكننى أستمتع بصحبتك •
- وأنا أيضا ، الا أننى أريد أن أحبس بحريتى •
- وهل أمنعك عن شىء ؟
- عن كل شىء •
- لا تنس أننى ••
- أعرف أنك تنفذ أوامر أبى •
- فماذا تريد اذن ؟
- أن تنسى هذه الأوامر على الأقل فى أيام الاجازات •
- ضميرى ••
- لابد أن يسمح •
- أستطيع أن أسافر وتصنع أنت ما تشاء •
- بل لا تستطيع •
- أتمنعنى ؟
- اسمح لى أن أقول نعم •
- أكتب الى ••
- ولا هذا •• ما سر هذه العداء ؟
- انها مطالبة بالحرية وليست عداء •
- وواجبى ؟

- واجبك أن تطيعنى •
- بل واجبى أن أطيع الباشا •
- الواقع أن واجبك هو أن تطيع ناظر الوقف •
- أليس الباشا هو ناظر الوقف ؟
- طبعاً ، ولكن سيأتى يوم أصبح أنا فيه ناظر الوقف •
- ولم يكن صالح يغيبى هذا من أول الحديث ، ولكنه ظل يتمنى  
ألا يذكر نادر هذه الحقيقة فخابت أمانيه وذكرها نادر فى  
صراحة الحقيقة وبساطتها •
- ولعله من الأوفق لك أن يكون ناظر الوقف راضياً عنك  
دائماً ، سواء فى ذلك ناظر الوقف الحالى أو ناظر الوقف  
فى المستقبل •
- لو كانت خديجة هنا لكان هناك حديث جديد بيننا • وأطرق ،  
ولم ينتظر نادراً أكثر من ذلك وغادر الحجرة •
- ومنذ ذلك اليوم عاد نادر الى الحياة التى عرفها فى القاهرة  
على يد الهام • وإن كان هناك يخشى رقابة أبيه أو أقوال  
الناس فإنه هنا لا يخشى شيئاً •• ولكنه بذكائه يعرف أن هناك  
مصدراً آخر يرسل المعلومات المدرسية الى أبيه غير صالح ••  
إنها المدرسة نفسها وشهادته التى ترصد درجاته ، فاستطاع  
أن يرضى المدرسة وألا يهمل دروسه وأن يعربد ما شاء أن  
يعربد بعد ذلك • وأصبح صالح منذ ذلك اليوم مطيعاً فى  
رضوخ •• لا يشترك معه ولكن يصمت ويتمنى أن يرى زوجته

ليضيف الى أحاديثه السابقة أحاديث جديدة عن اضطرابه الى السير فى طريق نم يتصور فى يوم من الأيام أنه سائر فيه .. ولكن ماذا تتفعه زوجته وماذا تجديه الأحاديث ؟ .. ان الصراع — ان كان ثمة صراع — باق بين نفسه ونفسه ، بين ما كان يتمنى أن يكون وبين ما صار اليه فعلا .

فى الاجازات الصيفية كان الباشا يأتى الى لندن وكانت تأتي معه نازك ونادرة وكان يتفضل فيصحب أسرة صالح . ولم تكن طبيعة الأمور تمكن نازك من الاتصال بصالح إلا بصورة رسمية ، ولكن عين خديجة لاحظت شيئاً .. شيئاً واهنا لم يكن كافياً حتى لأن تفتاح صالح بشأنه ، ولكنها أحسته على كل حال وطوته فى نفسها .

ولم يشأ صالح فى هذه الاجازات أن ينغص على خديجة وجودها معه ، فهو يظهر أنه سعيد بمقامه لا يضيق بشيء الا ببعده عنهم . وفى هذه الاجازات كانت نازك لا تترك نادر لحظة الا حين تحس أنه يجب أن يسهر مع نعيم سهرة خاصة ، فهى تهيب له هذه الفرصة وترجو أباه أن يتيح له . التمتع بسهرة بعيدة عن أبيه وأمه .. قليلاً ما كانت تتم هذه السهرات لأن الباشا لم يكن يسمح لها أن تتكرر كثيراً .

وفى الاجازة الأخيرة لاحظ صالح للوهلة الأولى أن صحة الباشا ليست على ما يرام ، فانتبهت فرصة ذهب الباشا الى



واستطاع أن يعربد ما شاء أن يعربد

حجرتة ليستريح بعد الغداء وبقيت نازك مع صالح وخديجة  
فى بهو الفندق •

— صحة الباشا •

— كان متعبا هذا العام •

— وماذا قال الأطباء ؟

— ليسوا راضين عن صحته كل الرضا •

— ولماذا لا يرى الأطباء هنا ؟

— أظنه سيفعل •

وفعلا عرض الباشا نفسه على أطباء انجلترا وكان صالح  
معه دائما ، وأحس أن مرض الباشا لبس بالشئ الذى يستهان  
به • وانقضت الاجازة وعاد الباشا ونازك وأسرة صالح الى  
القاهرة واستمر صالح بلندن يمارس عمله الكريه • ولكنه فى  
هذه المرة أصبح تودده لنادر أكثر من ذى قبل فراح يعامله  
كسيد له أن يأمر وعلى من سواه أن يطيع • وأحس نادر هذه  
النعمة الجديدة وكان تفسيرها حاضرا فى ذهنه فهو فعلا  
السيد وصالح موظف عنده • • عنده أو عند أبيه الفرق لا يذكر  
• • كان نادر دائما يجد التفسير القريب لكل ما يصادفه فى  
حياته • • فاقبال النساء عليه لأنه جميل وشاب ، أما أنه  
غنى فهذا ما لم يفكر فيه أبدا • والمتصاق نعيم به فى رأيه  
أمر طبيعى ، أما أن نعيم يحب نادرة ويفكر فى شأنها تفكيرا

خاصا فهذا ما لم يخطر له ببال • والحق ان هذا لا يمكن أن  
بخطر على بال أحد مهما يكن عميق النظرة بعيد الغور •

فان صالح مثلا وخديجة ونازك — وهى من هى —  
لم تلاحظ أثناء زيارتها الى لندن أن ثمة لحظة يمكن أن تثير فى  
نفسها نوعا من الشك •• وكيف للشك أن يثور ونعيم مسيحي  
وأبوه يعمل موظفا بالدائرة ، ونادرة ابنة الباشا جميعا ؟

معذور اذن نادر حين لا تخطر له هذه الفكرة بتسان نعيم  
ونادرة ، ولكنه على كل حال من هذا النوع من الناس الذين  
يفسرون الأمور من أقرب وسائلها • ولعل الأمور كانت تتيح  
له هذه النظرة القرية الميسورة • فهو جميل لا شك فى ذلك  
•• فارع الطول سمح القسمات لا تستطيع فتاة أن تراه وتعبه  
ذون اهتمام ، وهو فى حديثه بسيط جذاب ، وجد حياته  
كالجدول الرقراق لا تعترضه صخور أو عقبات فهو فى نفسه  
صافى الخلجات ينطلق منه الحديث فى غير تكلف أو تصنع  
•• نوع من الحديث لا تجده الفتيات عند كثير من الشباب  
الذى عانى وسار على الشوك وشق طريقه بين الصخور  
مستخدما كل آلات النفاق والتكلف والمخادعة ، وهى أدوات  
ثم يكن نادر يعرفها ، وانما عاش عمره يريد فينال ، ويقول  
فيسمع ؟ ويسير فالورود والزهور طريقته •• كل ما عليه  
أن يقرأ وأن يستمتع • وقد كان يقرأ ويستمتع • وكان يعلم



أنه يقرأ ليكون مثقفا فهو فى غير حاجة الى شهادة لتكون  
سلاحا له فى الحياة ، فقد كان سلاحه الطبيعى أقوى من أى  
شهادة . . انه ناظر الوقف المنتظر . . أما أن يكون مثقفا فهذا  
شئ لا يجب أن يستغنى عنه لأنه استطاع أن يجلس بين  
المثقفين ، واستطاع أن يدرك فى بساطة أنه بغير ثقافة ولو  
بسيطة لن يستطيع أن يجلس مع أحد . وقد كانت الثقافة  
فى رأيه أن يتقن اللغات فأتقن كثيرا منها . ولكن كما كانت  
حياة نادر ميسورة رقيقة كانت ثقافته أيضا ميسورة رقيقة ،  
فهو يتقن اللغات ولكنه لا يقرأ الا ما تريده المدرسة أن يقرأ ،  
فهو لم يكن هاويا للثقافة وانما كان ممارسا لها فلم يستطع  
أو هو لم يرد أن يتعمق موضوعا بذاته أبدا ، فان شاء أن  
يعرف معلومات عن أمر من الأمور كلف صالح فاذا كل ما يريده  
حاضر بين يديه ، وقد كان يجد من العبث بعد ذلك أن يبحث  
هو بنفسه . والقراءة فى ذاتها لم تكن متعة له فى يوم من  
الأيام . . انه يعرف متعته . . ويجيد معرفتها . ولم تكن القراءة  
من بينها ، وقد خيل اليه بعد ما أجاد من لغات أنه لم يعد فى  
حاجة الى مزيد من الثقافة ، وخيل اليه أيضا أنه يستطيع الآن  
أن يجلس مع من يشاء . وقد كان يعرف دائما أنه يستطيع  
أن يقول ما يشاء فالاستحسان ينتظر شفثيه أن تتفرجا . . أما  
ما قد يقوله السامعون اذا انصرفوا فلم يكن يعنيه فى شئ بل



هو فى الواقع كان يظن أن المذبح الذى كانوا يطلقونه على  
مشهد منه هو نفسه الذى يطلقونه بينهم وبين أنفسهم أو  
بينهم وبين بعضهم البعض •  
عاد نادر متأخرا الى البيت الذى يسكن فيه مع صالح فوجد  
صالح ينتظره واقفا فى البهو •  
— برقية أن تعود فورا الى مصر •

## — ١٦ —

- ظلت تؤجل حتى مات •
- الظروف كانت صعبة •
- وأصبح نادر أنيوم ناظر الوقف •
- المصيبة أنه محبوب من جميع المستحقين •
- جميع النظار محبوبون في أول الأمر •
- وهل ننتظر حتى يصبح مكروها ؟
- لا حيلة لنا الا أن ننتظر •
- قل لى يا يسرى أما زالت أحوالك المالبية مرتبكة ؟
- ألا تعرف يا شوكت بك ؟
- لم تترك سميحة •
- سننا أصبحت لا تحتل الترك •
- وأصبحت تحتل القمار •
- نحن في الهوى سوا •
- أنا لست قاضيا •
- القمار مرض لا يفرق بين قاض أو غير قاض كما لا يفرق  
بين كبير وصغير •

- نعم معك حق •
- أظنك تعرف ما أرمى اليه •
- حسام ابني لا يفرغ من القمار الا ليبحث عن النساء •
- اذن فأنت تعرف •
- ومن أين تظنه يأتي بالمال ؟
- اذن فلا بد من عمل شيء •
- الآن ؟ !
- فلننتظر قليلا •
- ننتظر نعم ، ولكن اياك أن تقطع صلتك بأولئك الخبراء •
- أعتقد أننا سنحتاج اليهم ؟
- ان لم تكن لنا بهم حاجة للتنفيذ فلا شك أننا سنحتاج اليهم للتهديد •
- وهل سنحتاج الى التهديد ؟
- الأيام دائما حبابي •
- ونحن الذين نولدها •
- لابد ممن يساعد على الولادة •
- ان صلتى بمن تريد دائما قائمة •
- واترك للأيام أن تكمل مواقيت ولادتها •
- انى هنتظر •

\*\*\*

كان حزن نازك فى ظاهره شديدا فقد أرادت له أن يبدو  
شديدا . أما نادر ونادرة فقد كان حزنهما طبيعيا لا أثر فيه  
لافتعال .

وكانت كريمه ترور نازك فى كل يوم وكانت منيرة دائما  
معه . ولم يمنع الحزن نادر أن يلقى نظرات الى منيرة ولكنها  
كانت مجرد نظرات .

وقام صالح بكل ما هو منتظر منه من واجبات ، وأصبح  
الرجل الأول فى الوقف بحكم قربه من ناظر الوقف الجديد .  
ومرت الأيام لتكتمل شهورا وحزن نازك لا يريد أن  
يخف ، فهي دائما أمام ابنها وابنتها صامتا ساهمة . وهما بالطبع  
لا يريان أمهما حين تكون مع كريمه اذا خلت بهما الغرفة  
وابتعدت عنهما منيرة لتجلس الى نادرة ، وهما بالطبع لم  
يسمعا .

— أريده جميعا فى يدى .

— وهل هذا الحزن يمكنك مما تريدين .

— ويمكنك أنت أيضا مما تريدين .

— كيف ؟ لعلها المرة الأولى التى لا أفهم فيها ما تقصدين .



كانت نازك جالسة الى نادر ونادرة فى صالونها الخاص  
حين جاءت كريمه ومنيرة ، وراحت كريمه تقص عليهم أخبار  
الناس وتحاول أن ترمى النكات بين الحين والآخر ، فكان

نادر ونادرة ومنبرة يضحكون وتظل نازك معبسة الوجه بل  
قد تلقى اليهم نظرة استهجان لضحكهم •

وفجأة صمتت كريمة •

— وأخرتها ؟

والتفتت اليها نازك وكأنها مندهشة مما تقول :

— أليس لها آخر ؟

وهوم الصمت •

— اسمع يا نادر باشا •

— باشا ؟

— ستصبح باشا فوراً • أأست ناظر الموقف ؟

— نعم •

— ما رأيك تدعونا جميعاً أن نسافر الى الخارج ؟

— نسافر ؟

— ان والدتك لن تستطيع أن تظل على هذا الحال ؛ ولا بد

لها أن تغير المكان والزمان وتسافر •

— الى أين ؟

— الى حيث تريد •

— مثلاً ؟

— نلف في أوروبا لفة •

— والله لا مانع عندي اذا وافقت نينا •

— وهل هذا يصح ؟

وتقول كريمة :

— بل لا يصح الا هذا ، نبعد عن الأحزان ونقضى فترة  
فى الخارج •

— وتترك الوقف يا نادر ؟

— اذا أردت يا نينا فأننى أستطيع أن أدبر الأمر •

— على كل حال تستطيع أن تترك صالح •

— اننى فعلا أستطيع أن أعتمد عليه •

— اذن نسافر •• حدد اليوم يا باشا •

وتقول تادرة كلمة عجيبة :

— ولكنك يا نادر سترهق من رفقتنا •

— أنا •• لا •• أبدا •

— يحسن أن تصحب معك صديقا يسليك اذا أردنا نحن

أن نخرج لشراء الأشياء فى أوروبا •

— وهو كذلك يا ستى •• نصحب نعيم •

\*\*\*

— ستصبح ناظر الوقف •

— لفترة •

— لقد قصدتها خصيصا •

— أنت ؟

— طبعا •• أريد أن بعرف الجميع أنك انشخص الأول  
بعد الناظر •

— هذا ما أنتظره منك •

— أما ما أنتظره منك فهو أهم •

— خيرا ؟

— ليس هذا وقته •

— أنا تحت أمرك دائما •

— أرجو أن تظل كذلك •

— وهل أملك الا ان أكون كذلك ؟

— حين أعود •• وأنفذ ما أفكر فيه •

— فيم تفكرين ؟

— فى أشياء كثيرة •

— الآن فيم تفكرين ؟

— أفكر أن يكون نادر فى يدي •

— والوسيلة ؟

— هذا ما أصنعه الآن •

— ثم بعد هذا ؟

— سأخبرك •

— هل أنا ضمن هذه المشروعات ؟

— أنت من أهمها •

— لا أدري لماذا أحس بخوف •

— وأنت بجانبى ؟

— لا أدري •

— كن بجانبى ولن تشعر بالخِيف، •

— أنا دائما هنا •

— كن هنا دائما •



استطاعت نازك فى أوروبا أن تقرب منيرة الى نادر فهى  
تطلب منه دائما أن يرافقها ، وأدركت منيرة ما ترمى اليه  
نازك ، ولم يحاول نادر كعادته أن يتعمق هذه المحاولة ، أنه  
يظنها مجاملة طبيعية من أمه لابنة صديقتها ، وكلما ازداد  
التقارب بينهما ازداد اطمئنان نازك وكريمة .

- فى هذه المرة أفهمك .
- أنت صديقة العمر .
- لكن ليس هذا وحده هو الدافع .
- أنا أعرف أنك تفهمين .
- اذا تزوج من لا أعرف ، خرج من يدي الى الأبد .
- منيرة تربية يدك .



ان أمه وأمي تلقيان بى اليه وتلقيان به على ... لقد كنت  
أتمناه ولكن ليس على هذه الصورة .. لقد أصبح مفروضا على  
فرضا وأنا لا أحب أن يفرض أحد على حتى ولو كان نادر ..

بل لا أحب أن يفرض نادر بالدات •• كيف أستطيع أن أرفضه ؟  
•• انه يتقدم الى بثقله جميعا •• الثراء الفاحش ونظارة  
الوقوف •• الشباب والجمال •• ماذا أقول لأرفضه ؟ •• وأين  
الخيار لى ؟ •• ليس هذا اختبارا • انه زواج بالاكراه ••  
اكراه المال والمنصب والشباب والجمال •• كنت أريد هذا الحب  
الذى يتناغم بين قلبين لا يدري شيئا الا الحب وحده •• كنت  
أريد هذه الأحلام العذبة من آمال الشباب الوردية •• كنت  
أريد حبا يسبق الزواج • ولكن من أين لى بهذا ؟ •• لقد  
أصبح مفروضا على فرضا • ولم لم تكن أمه وأمي لعلى كنت  
اخترته وحدى دون دفع منهما ، وهو مسوق لا يدري الى أى  
شئ هو مسوق • وهو عذب صاف ، ولكن هذا النوع من  
الصفاء الذى لا يتمعن فى أمر ولا يتعمق فى شئ •• أنا  
أعلم أنه لا يدري ان كان يحبني أم لا •• لعله يخيل اليه  
أنه يحبني • ولكنه لا يدري حقيقة مشاعره لأنه لا يدري  
حقيقة شئ على الاطلاق • لم يقل أحبك فهو يفرض أننى  
أحبه كأمر لا جدال فيه ، فقد تعود أن يرى كل من حوله  
يحبونه ، ولم يحاول فى مرة أن يتعمق هذا الحب أو مقدار  
صدقه • وهو يعلم أن اشارة منه تكفى لأكون زوجة له وهو  
محق • فأمه وأمي فى انتظار هذه الاشارة وهو واثق أننى  
أيضا فى انتظار هذه الاشارة • ألسنت من الناس وكل الناس  
يحبونه ؟ فكيف لا أكون مثلهم ؟ سأتوجه حين يطلبنى ولا

سبيل أمامي الا هذا • ولكن الذى لا شك فيه أن هذا الزواج مفروض على •• لعل كل من أعرف من البنات يتمنيته • ولكن أنا •• أنا بالذات كنت أرجو أن أتزوج بطريقة أخرى •



وفى غمار هذه المحاولة المتشعبة من نازك لتزوج نادرا من منيرة ، لم تلتفت عيناها الى حب آخر •  
— وماذا بيدنا أن نصنع ؟  
— أشهر اسلامى •  
— أتظن أن الدين هو العقبة الوحيدة ؟  
— هو العقبة الأساسية •  
— يبدو أنك لا تقدر حقيقة الموقف •  
— أبى موظف صغير عندكم ، ولكن ما لى أنا ؟  
— الأمور ليست بالسهولة التى تتصورها •  
— أنا سأترك دينى من أجلك ، فعليك أنت أن تصنعى شيئا •

— ليس شيئا بسيطا هذا الذى تريدنى أن أفعله •  
— وليس شيئا بسيطا الذى سأفعله أنا •  
— انهم الآن مشغولون بنادر •  
— أعلم •  
— فانتظر حتى ينتهوا •

— انى منتظر ، ولكن أريد وعدا •  
— سأحاول •



منيرة أن أصبح وان أمسى •• ولم لا •• لقد عرفت  
كثيرا من الفتيات ، ولكن حين أريد أن أتزوج لابد أن تكون  
زوجتى منيرة •• لقد سرت معها وحدنا كثيرا وأنا واثق أنها  
تحبنى ، ومع ذلك لم تحاول أن تظهر لى شيئا من حبها ••  
جميل حياء العذارى •• انها الفتاة الشريفة التى يطمئن  
الانسان حين يتزوجها •• ثم لابد لناظر الوقف أن يتزوج ••  
أليس كذلك ؟ •• لابد لناظر الوقف أن يتزوج •



كان حفل الزفاف رائعا ، واختلط فيه الرجال بالنساء وقدم  
فيه كل ما يخطر ببال الا الخمر ، فبيت ناظر الوقف لا يجوز  
أن يقدم فيه الخمر ، ونادر باشا يدور بالمدعوين يعرفهم بأقاربه  
وهم يبدون اعجابهم وتهنئاتهم وحين تقدم حسام شوكت من  
العروسين قال الباشا :

— وهذا حسام شوكت أعظم خلبوص فى العائلة •  
ثم ضحك ضحكة رنانة عالية صافية مجلجلة رنانة ،  
وابتسم حسام :

— أهكذا يا سعادة الباشا من أول مرة ؟

— انها ستعرف الحقيقة على أى حال مادامت أصبحت  
من الأسرة •

• وضحك الضحكة نفسها مرة أخرى  
وفى طرف خفى من الحقل :

— هذا أحد مشاربى يتحقق •

— أهنأك مشاريع أخرى ؟

— مشروع خاص بى أنا •

— بك أنت ؟

— وبك أيضا •

— ماذا ؟

— ليس الآن على كل حال •

وكانت عينا خديجة قد رأتها ، فحين انفردت بهما الحجرة  
فى المساء :

— ماذا كانت تقول نازك لك ؟

— سؤالك عجيب •

— نعم لعله عجيب فعلا •

— فلماذا تسألينه ؟

— ولماذا لا تجيب ؟

— أغربب أن تكلم أم ناظر الوقف موظفا عندها ؟

— أكان الكلام عن الوقف ؟

- وصمت قليلا :
- لماذا لا تجيب ؟
- الواقع لم يكن عن الوقف •
- فالسؤال في محله اذن ؟
- ولكن كيف عرفت ؟
- احساس قديم •
- احساس ؟ !
- احساس لعله بلا مبرر ، ولكنه احساس على أى حال •
- هو احساس كاذب •
- لا يستبعد أن يكون كاذبا كما لا يستبعد أن يكون صادقا •
- هو كاذب •
- فماذا كانت تقول لك ؟
- تقول لقد حققت شيئا هاما بهذا الزواج •
- فأنت موضع سرها •
- ألا يرضيك أن أكون موضع سرها ؟
- موضع سر نازك ؟ •• لكم أخشاها •
- انتى موظف عندهم •
- أهم موظف عندهم •
- ألا يسرك هذا ؟

- على أن يظل الأمر كذلك •
- ولماذا لا يظل ؟
- أرجو ألا يزيد •
- وكيف يمكن أن يزيد ؟ لقد كنت المتصرف فى الموقف
- أثناء غيابهم فى الخارج
- أرجو ألا يزيد •

ولدت منيرة لزوجها طفلة فرح بها نادر وكأنما حدث أمر لم يكن ينتظره • ولم يفكر أنه لم ينجب طفلا بدلا من طفلة ، ولم يفكر أن الوقف لا بد له من فتى لتظل نظارة الوقف فى الأسرة ، وأصبح لا يعرف ماذا يفعل ليعبر عن هذه الفرحة ، فهو يقضى معظم أوقات يومه مع الوليدة نادية يداعبها ويضحك من كل ما تفعله •

أحضر المصورون فصوروها وصوروا أمها وصوروا الأسرة • وفى مرة بينما وقف يرقب المصور وهو يلتقط لمنيرة ونادية أخذ بالمنظر وأحس تلك الخفقات من الفرحة التى يحسها الشاب الصافى حين يجد زوجته جميلة وابنته جميلة ، وخيل لنادر أن هذه الصورة لوحة لا بد أن يسجلها فنان لا عدسة ، وسرعان ما طلب من صالح أن يستدعى له أعظم رسام وجوه فى العالم • وكان صالح يستطيع دائما أن يعرف ما يريد معرفته ، وقد كان أعظم مصورى الوجوه شابا ايطاليا شهيرا سرعان ما أرسل صالح يستدعيه • وجاء الرسام



شاب وسيم عذب الحديث أنيق التصرفات فى غير تكلف  
ولا افتعال •

وقدم نادر زوجته وابنته الى الرسام فأبدى اعجابا  
شديدا بهما ، بل وأبدى سعادة أنه سيقوم برسمهما ، وبطبيعة  
نادر الصافية لم يتصور أن فيما قاله الرسام شىء من  
المجاملة •

— متى تبدأ عملك ؟

— مع هذا الجمال وهذا الطهر أتمنى أن أبدأ عملى فى  
هذه اللحظة •

وأطلق نادر ضحكته العظيمة :

— عظيم • • عظيم • • اذن تبدأ •  
— الآن •

وصاحت منيرة :

— طبعا لا •

ونظر الرسام الى نادر :

— أرايت ؟ كنت أعرف أنها ستمانع •

— كيف عرفت ؟

— اذا بدأت غدا أو بعد غد أكون سعيدا •

— لماذا كل هذه السرعة ؟

— ان السيدة تريد طبعا أن تختار الفستان الذى ترسم به ،

وتختار أيضا ملابس للمدموازيل • •

وأطلق نادر ضحكته وقد أضيف اليها عنصر الفرح أن يطلق على نادبة لقب مدموازيل • وأكمل الرسام حديثه مع ابتسامة عذبة :

— نعم ملابس للمدموازيل تكون مناسبة لفستان السيده •

— اذن فلن نبدأ قبل أسبوع •

وصحكت نادبة •

— أعدك أن تبدأ بعد أسبوع تماما •

ونظر أنطونيانى الى الباشا :

— رأيت ؟

— أنت خبير •

— اننى أعرفهن •

— هل عندك مانع أن تزور القاهرة فى هذه الفترة وتتعرف

عليها ؟

— اننى أتمنى •

— أهى المرة الأولى التى تأتى فيها الى مصر ؟

— أرجو ألا تكون الأخيرة •

— اذن فأنا أدعوك لزيارة مصر جميعها فى هذا الأسبوع •

— هل يمكن ذلك ؟

— حتى لو استغرق هذا أكثر من أسبوع فلا يهم •

وتقول منيرة :

— وتكون فرصة لأحسن الاختيار والتفصيل •



مع هذا الجمال وهذا الطهر ، أتمنى  
أن أبدأ عملي في هذه اللحظة

وأراد نادر أن يندب صالح ليكون مرافقا لأنطونياني ،  
ووافق صالح ولكن نازك عرفت :

— صالح أكبر من أن يرافق رساما ليمر به على آثار  
مصر •

وانتبه نادر ••

— آسف •• ظننتها فرصة أن يتنزه هو أيضا •

— هل بعد كسوته في الصحراء يصبح ترجمانا لرسام  
إيطالي ؟ ان أهم ما يجب أن تتعلمه هو أن تختار الشخص  
للمهمة •• هذه مهمة يستطيع أن يقوم بها أى موظف صغير  
في الوقف ولا يجوز أن تصغر كبار رجالك حتى يظلوا كبارا  
•• فالكبير كبير بمن حوله •

— نينا أنا آسف ، وأنت لا تحتاجين الى كل هذا الحديث  
حتى أعدل عن رأيي •• يكفي أن أعرف رغبتك •  
— ليست هذه رغبة ، انها رأى انتهزت الفرصة  
لأقوله لك •

— يبدو أنني صغير ما زلت محتاجا للتعليم •

— أيضايقك أن أقول رأيي ؟

— لا ، ولكن أرجو أن تذكرى أنني أصبحت ناظر الوقف  
ولست طفلا •

— هل فيما قلت ما يدل على أنني أعتبرك طفلا •

— لا •• في هذه المرة أنت محقة •

— حين لا تجدنى محقة ذكرنى بأئك أصبحت الباشا ناظر  
الوقف •

— نبنا أنت زعلت ؟

— أنت زعلت ؟

— أبدا •

— وأنا •• أبدا •

ولم يذهب صالح لرافقة أنطونيانى ، ولكن رأيا آخر  
ظهر :

— نبنا •

— نعم يا نادرة ؟

— لماذا لا أذهب أنا مع أنطونيانى ؟

— أنت ؟ هل جنت •

— أتفرج على آثار مصر •

— وحدك ؟

— ولماذا وحدى ؟ لتكن معى مدام ايزابيل مربيتى ، وليذهب

تعيم معنا •

— اسألى أخاك •

ووافق نادر وأصدر أوامره باعداد الرحلة ، وطبعا صاحب

الرحلة موظف اختاره صالح •



- صالح ، الآن أستطيع أن أنفذ مشروعنا •
- أكاد أعرفه •
- أتعرفه حقا ؟
- أنت تعرفين أنني لست غيبا •
- اذن فليسر الأمر ولو مرة واحدة طبيعيا بيننا •
- ونادر ؟
- دع الأمر يكون طبيعيا ولو لمرة واحدة بيننا •
- نادر ؟
- نناقش التفاصيل فيما بعد •
- اذن يا نازك هانم أنا يشرفنى أن أتقدم لخطبتك •
- آه هكذا •• هكذا يصبح الأمر طبيعيا •• فأنت لأول مرة تطلبنى •
- وأطلبك الى الأبد •
- أخيرا •
- ما جوابك ؟
- أحب أن يكون الأمر طبيعيا •
- أليس طبيعيا الآن ؟
- المفروض أن أقول دعنى أفكر •
- أهذا هو المفروض ؟
- دعنى أفكر •



- أولا تطلق خديجة ؟
- ماذا ؟
- أنا نازك هانم ، أتريدنى زوجة ثانية ؟
- ولكن .. الأولاد •
- هذا شأنك •
- ماذا أقول لهم ؟
- وهل أنت مضطر أن تقول ؟
- وهى ما ذنبها ؟
- أهى صحوه ضمير ؟
- مجرد تساؤل •
- عليك أنت أن تجيب هذا التساؤل •
- ونادر ؟
- هذا شأنى أنا •
- قد يطردنى •
- لا يستطيع •
- بل يستطيع •
- لا يستطيع •
- أنا أعرف تأثيرك عليه ، ولكن هناك أمور قد لا يتحملها
- أحد! •
- اسمع ، انى دبرت الأمر •
- كيف ؟

- سيظل الزواج سرا •
- سرا ؟
- سرا •
- فما الداعي له اذن ؟
- سرا وليس سرا •
- لأول مرة لا أفهم •
- سيعرف جميع المحيطين بنا أننا تزوجنا ، ولكننا لن  
نعلم الخبر •
- الآن فهمت •
- سيصبح الخبر عند الناس اشاعة تحتمل الكذب  
والصدق • فان طرذك نادر ستصبح الاشاعة صدقا فقط  
لا تحتمل الجانب الآخر •
- تهديد •
- لنادر •
- وماذا سيكون موقفه مني ؟
- موقفه من زوج أمه •
- أخشى أن يغضب مني •
- في أول الأمر قد يغضب •
- ثم ؟
- ثم سيعرف أنني أنا التي أريد ، وأنا مستعدة لـ --
- كل ما يستطيع أن يصنعه •



- انه يملك سلطات واسعة •
- لقد عشت عمرى الماضى خائفة من زوجى ، ولن أعيش
- عمرى الباقي خائفة من ابنى •
- انه ناظر الوقف •
- وأنا أمه •
- أعلم •
- لن يستطيع أن يعلن الشقاق بيننا لو حدث شقاق •
- أذن أمرك •
- لا تنس أنك أنت الذى طلبت الزواج •
- لا يمكن أن أنسى •
- اذن فلنبداً اجراآته •
- أمرك •
- كن زوجى ولا تكن موظفا عندى •
- أمرك •



كانت خديجة تتوقع أى شىء الا أن يطلقها •• كانت تتوقع  
أن تقوم علاقة بن نازك وصالح •• ولعلها مع أسوأ الفروض  
كانت تتوقع أن يتزوج صالح من نازك • ولكن طلاقها هو  
الأمر الوحيد الذى لم تتوقعه •• قرأت ورقة الطلاق وقرأتها  
وقرأتها ثم أصابها وجيم جازع منهار ، ثم وجدها من حولها

شى حائه سسيريده مجنونته معزبده مهى دائره نى البيت تحطم  
كل ما تجده بلا تفكير .

حطمت وحطمت . وابنها وابنتها ينظران اليها ذاهلين .  
وحين قرأ أيمن الورقة الملقاة على الأرض أعطاها دون كلمة الى  
أخته عزه ، وفهم الأبناء ما نعانيه أمهما فأصبحا ينظران اليها  
فى اشفاف لا يدريان ماذا يفعلان او ماذا يقولان ، فقد شعر  
كلاهما شعورا واحدا أن أى عمل وأى حديث عبث .

ولكن خدم المنزل سارعوا يلتمسون العون ، فمنهم من طلب  
الأم الهام ومنهم من طلب الطبيب ، وخديجة فى ثورتها  
المجنونة العارمة لا تحس بأحد ولا بنىء .

وجاء الطبيب ولم يكن بيده الا أن يطلب اليهم أن يمسكوا  
بها عنوة ليعطيها ابرة مهدئة . . وأعطاهم الابرة المهدئة . .  
وكانت ابرة مورفين .



لأول مرة واجه نادر أمرا لا يريده وأحس بنفسه فى  
مصيبة لا يطيق منها نكاكا ، فقد دلالعتة أمه بخطتها كاملة . .  
من حق المرأة أن تتزوج اذا كانت فى سنها حتى ولو كانت  
زوجة الباشا الناظر السابق للوقف ووالدة الباشا الناظر  
الحالى للوقف ، فهى تظل امرأة . . حقيقة لم يكن نادر يفكر  
فيها أبدا فلم يكن يتصور أن أمه امرأة ، إنما كان يتصور أنها  
أمه فقط .

حاول أن يمانع ولكن كيف ؟ إنه أمام أمه التي لم يرفض لها طلبا في حياته • وهو أيضا يدرك أنه لو مانع فلن تستمع له وستنفذ ما تريد أن تنفذ مهما يحاول أن يتأبى • • • قد تخرج وتترك البيت فليسيع ما ينبغي له أن يستر • لأول مرة يريد شيئا ولا يستطيع بلوغه ، أو هو لأول مرة يريد شيئا ولا يستطيع منعه •

عرف الحقد والكره لأول مرة وكان عجيبا أن أول شعور بالحقد والكره يداخله ، يداخله تجاه أمه لا تجاه شخص آخر •

غضب على صالح ولكن كان يعرف أن أمه هي التي تريد ، ومع ذلك لم يستطع أن يمنع شعور الغضب •

تولته ثورة يريد أن يصنع شيئا • • يريد أن يخرج من المصيدة • • يصنع أى شيء • • لم يذهب الى منيرة فهي لا تستطيع أن تخرجه من المصيدة • • ترك أمه وخرج من الغرفة دون أن يجيبها بنعم أو بلا • • فقد كان يعرف أن كلتا الكلمتين لا داعى لهما فقد قررت • • انها تبدو أنها تستأذنه ولكنه وثق في أثناء حديثها أنها انما تخبره • • فما لا ؟ وما نعم ؟ وماذا تجدى هذه أو تلك ؟ • • خرج من الغرفة وذهب الى سيارته وانطلق بها لا يدري الى أين ، وانما انطلق في سرعة مجنونة عاتية يلتهم الطريق كأنما يحس أنه اذا قطعه فسيخرج من المصيدة ، وأسرع وأسرع لا يدري لنفسه متجها ،

وترك القاهرة وراح يسوط الطريق بعجلاته كأنما ينتقم من الطريق الذى لا يستطيع أن يخرج من المصيدة ، غير عابىء بالسيارات الأخرى أو الناس أو الحيوانات .. عليها هى أن تتفاداه أما هو فبريد أن ينطلق فى هذه السرعة الغاضبة المجنونة وليكن بعد ذلك ما يكون .. تفكيره حريق ونفسه اشتعال وغضبه الذى يعرفه لأول مرة دمار .

ووجد نفسه أخيراً أمام قصره بالاسكندرية ، فنزل ودلف الى البيت لم يوجه الى الخدم حديثاً ، وانما أنهار على أول كرسى استقبله وأطلق آهة عميقة ، ثم أسلم نفسه الى الصمت .. نعم اننى لم أزل فى المصيدة .

## - ١٩ -

حين عادت نادرة من رحلتها كانت قد أعدت كل شيء ، وحين وجدت زواج أمها في انتظارها أصبح الأمر أكثر يسرا :

— سوف يشهر اسلامه •

— أتعتلين ما تقولين ؟

— اذا كنت أنت تتزوجين ممن تريدن ، فلماذا لا يكون

لي هذا الحق ؟

— ألم تفكرى في أخيك ومنصبه ؟

— أراك أيضا لم تفكرى في ابنك ومنصبه •



— لا أريد أن أرى وجهها ولا وجه نعيم •

— هذا لا يغير شيئا من المشكلة •

— لا أريد أن أرى أحدا منهما •

— لا بد أن يعلن الخبر •

— لا أراهما •

— الأمر معهما مختلف ، فأنا لم أعلن عن زواجى •

— أنت أمها أفعلى ما تشائين •

- وأنت أخوها •
- لا أريد أن أكون أخا أحد •
- وصمت قليلا ثم قال :
- ولا ابن أحد •
- لا تغلط •
- العجيب أننى لم أجن حتى الآن •
- لابد للحياة أن تسير فى طريقها •
- أهذا هو الطريق الطبيعى للحياة ؟
- هذه هى الحياة •
- قبيحة ذميمة ..
- اننى أنا المخطئة •
- أنت طبعاً المخطئة •
- أنا المخطئة لأننى لم أجعلك ترى من الحياة الا وجهها
- الجميل •
- وهأنذا أرى وجهها الفظيع •
- أنت لم تر شيئا •
- أهنالك أفظع من هذا ؟
- أنت لم تر شيئا •





إذا كنت أنت تتزوجين ممن تريدن ،  
فلماذا لا يكون لي هذا الحق ؟  
(أمواج ولا شاطئ)



أصبح نادر حجاباً من أمه ومن أخته ، فزواج أمه تساع  
بين الناس وإن لم يكن عنه . فزواج أخته أذيع في جميع  
الجرائد والمجلات . ونادر لا يريد أن يرى أحداً ، ولولا أنه  
مضطر أن يوجد في مكتبه بالوقت منذ الصباح ما نزل إلى  
الوقت أيضاً . كان يحس أن الناس لا تتحدث إلا عن أمه  
صالح يخشى الدخول إليه في مكتبه ، ولكن العمل كان  
يقتضى أن يلقاه . . لم يقل له شيئاً . . كأن شيئاً لم يحدث .  
استكبر نادر أن يكلمه في هذا الأمر ولكنه في نفس الوقت  
لم يستطع أن يعامله كما كان يفعل . . هي الأعمال فقط  
ولا حديث آخر .

وفي يوم بينما صالح واقف أمامه يعرض عليه بعض  
أوراق ، وجد نفسه لا يحتمل . قام فجأة ودخل إلى جناحه  
في السراي وظل يسير في الأروقة على غير هدى . ومر  
بالغرفة التي يقوم فيها أنطونياني برسم زوجته ، ووجد قدميه  
تقودانه إلى داخل الغرفة . . ما هذا ؟ . . أهذا هو الجانب  
الآخر من الحياة ؟ . . حقيقة ما يرى ؟ . . زوجته بين أحضان  
أنطونياني . والطفلة تنظر إليهما ، يقبلها وهي تحمل طفلتها .  
رأته منيرة . . شهقت . . ولكنه كان قد عاد تاركاً الغرفة .  
لم يبق له أحد . . لا أحد . . لا أحد . .

نزل إلى السيارة عقله لا يفكر ، لا يفكر مطلقاً . هو في  
روع أخذ جبار عنيف . انطلق بالسيارة . وانطلق وانطلق



وطال الطريق وهو لا يدري • فى أوربا كنا نسير سويا • •  
نادية • • أنا أول من عرفت • • عذا لا شك فيه • • كل شيء  
متسكوك فيه • • لماذا ؟ أمى • • نادره • • ومنيرة • • لماذا ؟ • •  
وكيف ؟ • • ولماذا ؟ • • ومع من ؟ • • انه لن يبقى • • اذن فهى  
تعطى نفسها لن يرغب • • عبت • • عبت • • عبت • • السمعة  
• • الناس • • لا يهم • المهم هو أنا • • أنا • • وهلبقى لى  
أنا ؟ • • وما أنا ؟ ألسن زوجتى وبنيتى وأمى وأختى ؟ • •  
ماذا يقى من أنا ؟ • • نادية • • منيرة • • هل رأيت ما رأيت  
حقا ؟ • • أعود لأتأكد ؟ • • لعله ما يزال يقبلها • • أعود لأرى ؟  
• • زوجتى منيرة • • ماذا بقى لى من أنا ؟ لا يحس بالطريق  
ولا يحس بشيء • • وفجأة نبتت أمامه فتاة صغيرة لوى  
السيارة ليتفادها فاذا بالسيارة تنقلب مرات حتى تستقر  
مقلوبة فى الحقول ، ثم يهوم الصمت •



فى المستشفى بدأ يفكر • • لو قال ما رأى لجنى على  
نادية جناية لا تستحقها • • لو صمت • • سيجن • • ماذا يفعل ؟  
ماذا يفعل ؟

تدخل منيرة وتخرج لا يستطيع أن يحادثها اذا انفرد ،  
فان دخلت أمه حادث منيرة بما لا يجعل الأم تشك فى شيء •  
فاذا خرجت الأم صمت •  
— كان يقبل نادية •

لم يجب • لا يستطيع أن يصدقها ويكذب عينيه •  
لا حديث • لا حديث على الإطلاق •  
حاولت نادرة أن تنتهز الفرصة لتعود الأمور الى طبيعتها بينها وبين أخيها فدخلت تزوره •• لم يحدثها ولم ير داعيا أن يحدث منيرة أمامها •• ما فعلته نادرة أهون مما فعلته منيرة •• ولكنه لم يستطع أن يحتمل وجودهما معا أمامه •• قال في حزم :  
— اخرج! •

وخرجتا كل منهما تعلم أن أمر الطرد صادر لها  
وحدما •



شفى وخرج من المستشفى ولكنه انقلب شخصا آخر •  
أصبح لا يترك بيت الهام وأصبح يطالبها بإقامة الحفلات •  
كان يريد أن يعود الى هذه الأيام التي أعطته فيها الهام سيارة  
وفتاة •• فهو يلاحق كل من تقع عليها عيناه من فتيات •  
وأصبح لا يستخفى فى علاقاته حتى لقد سرت الاشاعات أنه  
فقد قدرته الجنسية أو كاد ، ويريد أن يستمر هذا بما يفعل  
مع النساء • وهو لا يعنى بشيء من هذا وإنما يسير طريقه  
الذى خطه لنفسه غير مكترث بأحد أو بشيء • والهام تهيب  
له كل ما تصبو اليه نفسه • أصبح لا يصادق الا الخدم  
والقوادين ، وتردى فى طريق لم يتصور أنه سيسير فيه ••  
أصبح يضحك ضحكته الشهيرة ، ولكنه كان كلما ضحكها أحس  
أنه يضحك من نفسه وأحس أن العالم أجمعه يضحكها منه  
معه •• الى أين الطريق ؟ •• الى أين تنتهى به نزواته ؟ ••  
لا يدرى أو لعله يدرى ولكنه لا يريد أن يفكر •• أصبح ابن  
لحظته يطالبها أن تعطيه كل متع العالم ولا يهمه من بعد  
ماذا ستحمل اللحظة التالية • كل ما يريد أن ينسى كل شيء  
عن كل شيء ، ويسمع مديح الخدم والقوادين ، ويصدقه ••  
أنه يريد أن يصدقه فهو أبداً لا يحاول أن يبحث وراء الكلام

الذى يصدر اليه من أى منبع ولا عن أى مصدر يصدر ..  
له لحظته لا يعنيه ما بعدها ، وله الكلمة ولا يعنيه ما وراءها ،  
وحين يحاول بعض المخلصين من المستحقين أن يقولوا شيئاً  
يهددهم أو بعرض عنهم . فكل حديث لا يمتعه لا يريده ،  
لا يسمعه مهما يلح عليه . والمخلصون قلة والمنتفعون كثرة .  
والمديح جميل والنصيحة بغیضة . وهو يريد اللحظة ، يريد  
متعة . والكلمة المادحة تزيد المتعة متعة .. فليخض الأمواج  
.. والشاطئ .. الى أين ترسو السفينة ؟ لا يهم .. انه  
يغوص فى الأمواج ولا شأن له بالشاطئ .. لعل بحره يكون  
بلا شاطئ .. لكل بحر شاطئ .. ولكن لعل .. لعل ..  
لعل بحره هو بلا شاطئ .. وجد متعة الكبرى فى القمار ..  
أصبح يقامر بكل مال يقع فى يده . وأوشك الوقف فى مرتين  
أن يصبح مرهونا جميعا لولا أن توصل المستحقون لدى  
الديانة فتنزلوا عن حقوقهم .. أصبح الوقف جميعا مهددا  
بالخراب فلم يعد يعنيه أن يبقى أو لا يبقى ، وأصبح  
المستحقون فى ذعر دائم أن يصبح عليهم صباح ليجدوا الوقف  
جميعا أصبح فى أيدي الناس بددا ، ويصبح ريعه سدادا  
لديون ، وحينئذ لن تجدى الوقفية فى شيء .. انه يقامر  
بجنون .. كان القمار يدمر بلحظات المتعة ويجعله يغوص  
أكثر فى أعماق الموج ويجعله ينسى أكثر وأكثر . ان للأمواج  
شائطا ، فان فكر لحظة ، مجرد لحظة .. لعل .. لعل موجى

يكون بلا شاطيء •• اضطرب المستحقون وأصبحوا لا يدرون  
بماذا يطالعهم الغد أو بماذا يوافيهم المساء ، وأصبح أكثر  
الجميع هلعاً موظفو الوقف ، فكل من لا يمدحه يغيره ، فطرد  
الموظفين واستبدلهم بآخرين أصبح لعبة يلهو بها كما يلهو  
بأوراق اللعب •



وتمر الأعوام وقليلاً ما تمر ، وبناجاً بأن منيرة حامل ،  
ولا يقطع هذا الخبر الاشاعة • عان الضعف لا يمنع القدرة  
منعاً تاماً • وتكتمل شهور الحمل رتد منيرة فتاة أخرى هي  
نعمت •

ولا تكمل نعمت في بيت أمها شهوراً حتى يعلن نادر  
طلاق منيرة ، ويجعل ذريعتة أنه يريد أن ينجب أبناء ليرثوا  
نظارة الوقف •

ومن بيت الهام يختار عروسه فتاة لم يكن يعرفها ، وانما  
قدمتها اليه الهام على أنها سميرة ابنة مجدى بك السنهوتى •  
— ولكنها مخطوبة •

— لم تتزوج بعد • أليس كذلك ؟  
— مخطوبة •

— اسألوها واسألوا أباهما •

— أمرك •

وتفسخ خطبة الفتاة ويتزوجها نادر ، ولكن ••

— ٢٠ —

- — شوكت قد حان الوقت •
- — نعم يا يسرى قد حان الوقت •

★ ★ ★

- وكان نادر بمكتبه بإدارة الوقف حين دخل اليه يسرى  
وشوكت وبعض أشخاص آخرين •
- — يا باشا ان الحال هكذا لا يمكن أن يستمر •
  - — ما هو الذى لا يمكن أن يستمر ؟
  - — سمعة الوقف أصبحت فى الحضيض •
  - — أنا ناظر الوقف المسئول عنه •
  - — لهذا جئنا اليك •
  - — ماذا تريدون ؟
  - — أن تتنازل •
  - — ماذا ؟
- وظهرت أسلحة مشهورة من مرافقى يسرى وشوكت •

— أهى فوزى ؟

— سوف يشهد جميع الموظفين أنك حاولت قتلنا فدافعنا  
عن أنفسنا •

وكان يسرى قد أعد ورقة التنازل فوقعها نادر ، وكأنما  
كان ينتظر هذا اليوم كشيء مؤكد لا سبيل الى الفرار منه •



سافر هو وزوجته الى أوروبا ، ولكن زوجته لم تطق  
العيش معه طويلا فقد أصبح لا يجد لذة الا مع العاهرات •  
— مضمونات •

— العاهرات ؟

— نعم اننا نعرف أنهن عاهرات •• انهن النوع الوحيد  
الذى لا يغش من النساء •• فاننا نعرف أنهن عاهرات •  
ولم يقنع هذا المنطق سميرة فهى تتركه للعاهرات وتعود  
الى القاهرة •



فاجأه الموت وهو فى سن الشباب ، ولم يعرف أحد كيف  
مات فقد كثرت حول موته الأقاويل والاشاعات •  
وجدوا خطابا بين أوراقه : « الى ابنتى نادبة راجيا  
ألا تفتحه الا بعد وفاتى » •  
وفتحت نادبة الخطاب :

« أنت الوحيدة التي لا أحب أن تصدق ما يقوله الناس  
نى ، ولعل أهم ما يمسك فى أمر أسرتنا أننى طلقت والدتك •  
بل ما أرجو أن تعرفيه أن أختك نعمت ليست ابنتى •  
وكنيت قد سمعت عن علاقة بين منيرة وحسام ولم أتأ  
أن أطلقها حتى لا أسىء إليك ، فحين جاءت نعمت أشفقت  
عليك وأشفقت عليها هى أيضاً ، فهى لا ذنب لها ، ولكننى ام  
أطق أن أعيش معها فكان الطلاق • وهذا السر بين يديك  
الآن ، وأنت وحدك التى تملكين التصرف فيه • وان كان لى  
رجاء عندك يجاب ، هو أن تشفقى عليها فهى وان لم تكن  
ابنتى فانها أختك •

أبوك  
« نادر »





... وهذا السر بين يديك الآن ،  
وأنت وحدك التي تملكين التصرف فيه

من مطبوعات مكتبة مصر



للمؤلف

- — ثم تشرق الشمس
- — هارب من الأيام
- — لقاء هناك
- — أمواج ولا شاطئ

## مؤلفات

### سيد الحميد جوده السحار

—•••—

#### الطبعة الأولى

أحمس بطل الاستقلال	قصة	مايو سنة ١٩٤٣
أبو ذر الغفاري		يوليو سنة ١٩٤٣
بلال مؤذن الرسول		مايو سنة ١٩٤٤
في الوظيفة	مجموعة أقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٤٤
سعد بن أبي وقاص		يوليو سنة ١٩٤٥
همزات الشياطين	مجموعة أقاصيص	فبراير سنة ١٩٤٦
أبناء أبي بكر الصديق		أكتوبر سنة ١٩٤٦
الرسول (حياة محمد) ترجمه مع محمد محمد فرج يناير سنة ١٩٤٧	رواية	سنة ١٩٤٧
في قافلة الزمان		سنة ١٩٤٧
أهل بيت النبي		مايو سنة ١٩٤٨
أميرة قرطبة	قصة	سنة ١٩٤٩
اللقاب الأزرق	قصة	مايو سنة ١٩٥٠
المسيح عيسى بن مريم		سنة ١٩٥١
محمد رسول الله ( مترجمة )		١٩٥١
قصص من الكتب المقدسة		سنة ١٩٥٢
الشارع الجديد	رواية	سنة ١٩٥٢
صدى السنين	مجموعة أقاصيص	سنة ١٩٥٣
حياة الحسين		سنة ١٩٥٤
قلعة الأبطال	قصة	سنة ١٩٥٤
المستنقم	قصة	ديسمبر سنة ١٩٥٧
أم العروسة		يناير سنة ١٩٥٨
وكان مساء	قصة	مارس سنة ١٩٥٨
أفروع وسيفان	قصة	يوليو سنة ١٩٥٨
الحصاد	رواية	سبتمبر سنة ١٩٥٩

## الطبعة الاولى

سنة ١٩٦١	القصة من خلال تجاربي الذاتية
أكتوبر سنة ١٩٦٢	جسر الشيطان
ديسمبر سنة ١٩٦٣	ليلة عاصفة
يناير سنة ١٩٦٤	النصف الآخر
يونيو سنة ١٩٦٥	السهول البيضاء
يوليو سنة ١٩٦٧	وعد الله وأسرته
يناير سنة ١٩٧٢	عمر بن عبد العزيز
أكتوبر سنة ١٩٧٢	الحفيد
فبراير سنة ١٩٧٤	هذه حياتي
أبريل سنة ١٩٧٤	تكريرات سينمائية
١٩٨٣	ملك الموسيقى
١٩٨٣	خفقات قلب
١٩٨٣	صور وتكريرات
١٩٨٣	الاسراء والمعراج
أبريل سنة ١٩٨٤	عدو البشر ( سيناريو وحوار )
أبريل سنة ١٩٨٤	النمر ( سيناريو وحوار )
أبريل سنة ١٩٨٤	الله أكبر ( سيناريو وحوار )
١٩٨٥	أبطال الجزيرة الخضراء
١٩٨٥	ثلاثة رجال في حياتها
١٩٨٥	مسجد الرسول
أبريل سنة ١٩٨٦	فات الميعاد ( سيناريو وحوار )
أبريل سنة ١٩٨٦	آدم الى الأبد ( سيناريو وحوار )

## القصص النبوية

( للأطفال )

في ٨٨ جزءا	قصص الانبياء
في ٢٤ جزءا	قصص السيرة
في ٢٠ جزءا	قصص الخلفاء الراشدين
في ٢٤ جزءا	للعرب في أوروبا

# محمد رسول الله والذين معه

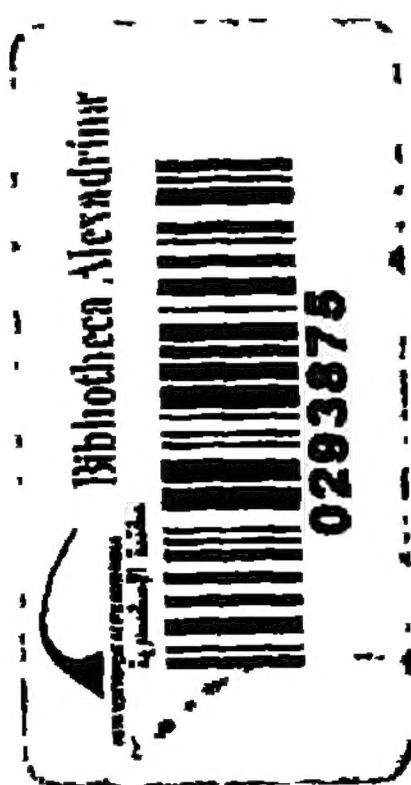
١ - ابراهيم ابو الانبياء	اكتوبر ١٩٦٥
٢ - هاجر المصرية ام العرب	مارس ١٩٦٦
٣ - نوح اسماعيل	سبتمبر ١٩٦٦
٤ - العدنانيون	فبراير ١٩٦٧
٥ - قريش	مايو ١٩٦٧
٦ - مولد الرسول	يولية ١٩٦٧
٧ - اليتيم	اكتوبر ١٩٦٧
٨ - خديجة بنت حويله	يناير ١٩٦٨
٩ - دعوة ابراهيم	مارس ١٩٦٨
١٠ - عام الحزن	مارس ١٩٦٨
١١ - الهجرة	سبتمبر ١٩٦٨
١٢ - غزوة بدر	نوفمبر ١٩٦٨
١٣ - غزوة احد	يناير ١٩٦٩
١٤ - غزوة الخندق	مايو ١٩٦٩
١٥ - صلح الحديبية	يونية ١٩٦٩
١٦ - فتح مكة	نوفمبر ١٩٦٩
١٧ - غزوة تبوك	نوفمبر ١٩٧٠
١٨ - عام الوفود	مايو ١٩٧٠
١٩ - حجة الوداع	نوفمبر ١٩٧٠
٢٠ - وفاة الرسول	ديسمبر ١٩٧٠

دار مصيّر للطباعة  
تغير مجرّوة السخار وشركاه  
٢٧ شارع كامل منسق - المعشاة  
مت ٩٠٥١٢٧ - ٩٠٧٥٩٢

رقم الايداع ٢٥٩٧  
الترقيم الدولي ١ - ٣٥٧ - ٣١٦ - ٩٧٧



مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - الفيحة



٢٠٠ قرش

الشمس

دار مصر للطباعة  
سعيد جودة السخار وشركاه